وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ

الطريقة الشابية في تونس ودورها السياسي خلال القرن 18م

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التّاريخ

تخصّص: تاريخ المغرب العربي الحديث

اعداد الطالبين :

- محمد كريبع
- وليد مامين

اشراف الأستاذ :

د/ موسى تريعة

اللجنة المناقشة :

اسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
د/ ابراهيم طاس	جامعة غرداية	رئيسا
د/ موسى تريعة	جامعة غرداية	ممتحنا ومقررا
د/ فاطمة الزهراء حوثية	جامعة غرداية	ممتحنا

الموسم الجامعي: 1442-1443هـ/2021-2022م

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ

الطريقة الشابية في تونس ودورها السياسي خلال القرن 18م

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التّاريخ

تخصّص: تاريخ المغرب العربي الحديث

اعداد الطالبين :

- محمد كريبع
- وليد مامين

اشراف الأستاذ :

د/ موسى تريعة

اللجنة المناقشة :

اسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
د/ ابراهيم طاس	جامعة غرداية	رئيسا
د/ موسى تريعة	جامعة غرداية	ممتحنا ومقررا
د/ فاطمة الزهراء حوثية	جامعة غرداية	ممتحنا

الموسم الجامعي: 1442-1443هـ/2021-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لو لا فضل الله علينا أما بعد

إلى الوالدين الذين نزلت في حقّهم الآيتين الكريمتين ، قال تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } {الإسراء32–33}

أهدي ثمرة جهدي

إلى الشمعة التي أنارت دربي و فتحت لي أبواب العلم و المعرفة ، إلى أعز إنسان في الوجود و قدوتي في الحياة التي ضحت من أجلي ، إلي الصدر الحنون و القلب الرفيق إلى أعز ما أملك في الدنيا الحبيبة الطاهرة الوفية ، و الملاك الصافي القريب لله سبحانه و تعالى ، أمي ثم أمي ثم أمي

إلى روح أبي العزيز رحمه الله

إلى الإخوة و الأخوات

الى الزوجة الكريم

الى ابنائي و بناتي الأعزاء

إلى أساتذتي الكرام وعمال جامعة غرداية

والى كل من جمعتني بهم الصدفة وفرقتني عنهم الأقدار

وفي الختام أرجوا من الله تعالى أن يجعل عملي هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة المقبلين على التخرّج.

محمد كريبع

الإهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لو لا فضل الله علينا أما بعد

إلى الوالدين الذين نزلت في حقّهم الآيتين الكريمتين ، قال تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } {الإسراء32–33}

أهدي ثمرة جهدي

إلى الشمعة التي أنارت دربي و فتحت لي أبواب العلم و المعرفة ، إلى أعز إنسان في الوجود و قدوتي في الحياة التي ضحت من أجلي ، إلي الصدر الحنون و القلب الرفيق إلى أعز ما أملك في الدنيا الحبيبة الطاهرة الوفية ، و الملاك الصافي القريب لله سبحانه و تعالى ، أمي ثم أمي ثم أمي

إلى أبي العزيز حفظه الله تعالى

إلى الإخوة و الأخوات

إلى أساتذتي الكرام وعمال جامعة غرداية

والى كل من جمعتني بهم الصدفة وفرقتني عنهم الأقدار

وفي الأخير أرجوا من الله تعالى أن يجعل عملي هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة المقبلين على التخرّج

وليد مامين

شكر وتقدير

نشكر الله سبحانه وتعالى على أن وفقنا لانجاز هذا العمل فله الحمد والمنة

قال رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم"من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

فلا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان لأساتذة الجامعة.....
بغرداية ،كما اشكر الأستاذ الفاضل الدكتور **موسى تريعة** الذي تكرم بالإشراف على هذا العمل المتواضع وكل من كان له فضل المشاركة بعد عون الله وتوفيقه في إخراج هذا العمل على صورته الحالية وكل من ساعدنا في جمع المادة العلمية

لكـــــــــم كـــــــــل الشـــــــــكر والتقـــــــــدير والامتنـــــــــان

مقدمـــــة

مقدمة

عرفت تونس مطلع القرن 18م أحداثا هامة أدت إلى إحداث تغيرات وتجاذبات على الساحة الداخلية والخارجية ،وعلى جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ،فمن الناحية السياسية عرفت تونس بداية القرن 18م صعود الأسرة الحسينية واعتلائها سدة الحكم سنة 1705م بقيادة مؤسسها الحسين بن علي ،وقد حكمت هاته الأسرة تونس طيلة عهدين ونصف من الزمن اتسمت بالهدوء والاستقرار أحيانا وبالاضطراب والصراع أحيانا أخرى لأسباب داخلية وخارجية ،إلا أنها استطاعت أن تحقق بعض الانجازات على جميع الأصعدة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا رغم الثورات والصراعات الداخلية والضغوطات الخارجية والأزمات والكوارث الطبيعية والبيئية التي عرفتها البلاد في تلك الفترة.

ومن أهم الأحداث السياسية التي عرفتها تونس خلال الفترة الحديث هو ظهور التيار الديني السياسي والمتمثل في الطرق الصوفية التي استطاعة تغير في المشهد السياسي وفرض وجودها كحركة دينية سياسيا ،ولعل أهمها الطريقة الشابية التي استطاعت تأسيس كيانا لها والمتمثل في الدولة الشابية والتي مرت هي أيضا بفترات حكم قوية اكتسحت مناطق هامة من البلاد ،وعرف حكمها قوة وسيطرة في بداياته وحققت استقرار سياسيا نسبيا ،ساهمت في صد خطر العدوان الخارجي ،كما نجحت في إحداث طفرة اقتصاديا واجتماعية وفكرية وعلمية ،الا ان حلمها في إقامة دولة إسلامية على شاكلت الدول الإسلامية في المشرق الإسلامي لم يتحقق بسبب الصعوبات والتحديات التي واجهتها داخليا وخارجيا حال دون تحقيق أهدافها ،فأنهى وجودها الوجود العثماني والتحرشات الخارجية كدولة وككيان سياسي ،واكتفت بدورها الدعوي ومحاولة الحفاض على مكتسباتها كحركة دينية شعوبية وامتداد نفودها خارج حدودها.

ولمعرفة مدى تمكن الحركة الدينية من إنشاء كيان سياسي وتأسيس دولة خاصة به جاءت دراستنا كالتالي : **الطريقة الشابية في تونس ودورها السياسي خلال القرن 18م.**

1/ حدود الدراسة :

– **الحد المكاني** : إيالة تونس في الفترة الحديثة وبالتحديد في القرن 18م.

– **الحد الزماني** :حدد الإطار الزماني لموضوع من بدايات القرن 18م خصوصا مع ظهور الأسرة الحسينية بتونس وتقلدها الحكم وسطوع نجمها كأسرة حاكمة إحتكرت المشهد التونسي خلال قرنين ونصف من الزمن

2/ أسباب إختيار الموضوع :

أ_ رغبتنا في دراسة موضوع يسلط الضوء على فترة معينة من تاريخ منطقتنا المغاربية التي عرفت في العهد الحديث تغيرات وتجاذبات انعكست سلبا وإيجابا على الأوضاع المعيشية لسكان المغاربة وعلى جميع الأصعدة والنواحي.

ب_ محاولتنا المتواضعة لإثراء البحث العلمي ،والمساهمة في تعزيز قدرات مكتبتنا الجامعية وذلك لأهمية الموضوع وحداثته .

ج_ قلة الكتابات وشح المادة العلمية خاصة خلال القرن 18م.

3/ الأشكالية :

من اجل الإلمام بالموضوع المراد دراسته ارتكزت دراستنا في البحث والإجابة على سؤال رئيسي يتمثل في التالي : **ما الدور السياسي الذي لعبته الطريقة الشابية ؟**

ويتفرع هذا السؤال بدوره إلى عدة أسئلة ثانوية منها :

1_ ماهية الطريقة الشابية ؟ وما دورها السياسي ؟

2_ ماهي مساهماتها وانجازاتها لدولة التونسية ؟

3_ ما علاقتها بالسلطة الحاكمة ؟

4_ ما علاقتها بالمحيط الخارجي ؟

4/ خطة البحث :

اعتمدنا في دراسة الموضوع على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ،وقد تفرع كل فصل إلى ثلاثة مباحث مع مقدمة وخلاصة لكل فصل ،وقد خصصنا الفصل الأول لأوضاع تونس خلال القرن 18م وتطرقنا فيه إلى التعرف على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للبلاد التونسية خلال القرن 18م .

أما الفصل الثاني خصصناه لطريقة الشابية كحركة دينية وسياسية ، تطرقنا فيه إلى التعريف بالطريقة الشابية كحركة دينية صوفية وبينا مكانتها الشعبية ومدى تغلغلها في المجتمع التونسي ،ثم تطرقنا إلى تطورها الى حركة سياسي وصولا إلى قيام دولة أو إمارة إسلامية داخل الحدود التونسية والدور الدي لعبته على جميع الأصعدة ومدى تأثرها بالأحداث الداخلية والخارجية حتى نهايتها وأفولها وانحصار دورها إلى حركة دينية دعوية .

أما الفصل الثالث فخصصناه لعلاقة الطريقة الشابية بالدولة العثمانية وامتدادها الخارجي تطرقنا فيه للعوامل الخارجية التي أثرت وتأثرت بها ،وذكر علاقتها بالدولة العثمانية ،وكذا امتدادها الخارجي التي حققته كحركة دينية وسياسي لقيت صدى في نواحي عديدة خارج حدودها ومدى انتشارها وفرض وجودها داخليا وخارجية

5/ أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في ما يلي :

أ_ تسليط الضوء على الأوضاع السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية لتونس خلال القرن18م

ب_ الاهتمام بدراسة نظم حكم الأسرات وخاصة منها الأسرة الحسينية التي تربعت على عرش حكم تونس خلال عقدين ونصف من الزمن .

جـ_ دراسة للتوجه الفكري والديني السائد في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ تونس الحديث.

د_ استخلاص البعد الروحي والديني للمجتمع التونسي ومدى تمسكه بثوابته وقيمه الحضارية وانصياعه إلى الخطابات والقيادات الدينية.

6/ الدراسات السابقة :

ان الدارسين والباحثين لتاريخ الحديث للمنطقة المغاربية يتطلعون إلى الوصول إلى الحقيقة ولو نسبيا للتعرف أكثر على تاريخ هذه المنطقة ،وذلك طبعا بالبحث و التمحيص في المصادر الأساسية والتي تعرف شحا كبيرا وصعوبة في الوصول إليها لأسباب عديدة لا يسعنا الوقت لذكرها ،إلا أنهم لم يذخروا أي جهد للكشف عن الحقيقة والوصول إليها بالبحث والتحري والإلحاح في طلب الأرشيف من الدول الأجنبية ،وهذا ما دفع بالمؤرخين والباحثين بإبراز إسهاماتهم والتي جاءت متواضعة كالكتابات سوآءا كانت مقالات أو رسائل جامعية وغيرها ،ومن أهم ما صادفنا منها نذكر :

((التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية *الطريقة الشابية أنموذجا)) ليوسف بن حيدة.

7/ المنهج المتبع :

اعتمدت دراستنا على المنهج التاريخي الوصفي ،باعتباره المنهج المناسب لتتبع الوقائع والأحداث التاريخية والأوضاع التي سبقتها ،وتحليلها بأسلوب علمي بعيدا عن العاطفة والتجرد من الأحكام المسبقة والذاتية للوصول إلى الحقيقة واستخلاص النتائج المرجو والإجابة على الإشكالية المطروحة في فصول هذه الدراسة قدر الإمكان.

8/ صعوبات البحث :

شح المعلومات التي تعالج موضوع الدراسة مما صعب جمع المادة العلمية و الاكتفاء بالمراجع التي تحتوى في متنها على ذكر الموضوع بطرق عرضية في أغلبها .

الفصل الأول: أوضاع تونس خلال القرن 18م

المبحث الاول: الوضع السياسي و الاقتصادي.

المبحث الثاني: الوضع الاجتماعي والثقافي.

تمهيد:

أهم ما ميز هذه الحقبة الزمنية من تاريخ تونس الحديث وتحديدا مطلع القرن 18م هو سطوع نجم العائلة الحسينية ووصوله إلى سدة الحكم والتربع على عرش تونس طيلة قرنين ونصف ،وقد عرفت تونس خلال فترة حكم هذه الأسرة تغيرات و تجاذبات على الساحة السياسية وعلى جميع الأصعدة داخليا وخارجيا وهذا ما أستدعى طرح الأسئلة التالية؟

- من هو مؤسس الأسرة الحسينية؟ وماهي أهم فترات حكمها في القرن 18م وما هي أهم الأحداث التي ميزت هاته الفترة؟

المبحث الأول : الوضع السياسي و الاقتصادي

أولا : الوضع السياسي :

1-تأسيس الأسرة الحسينية:

تعود جذور الأسرة الحسينية إلى مؤسسها الحسين أبن علي التركي الكرغلي ،جاء والده من جزيرة كنديا متطوعاَ للخدمة العسكرية أوائل دولة بني مراد[1]، كان الحسين بن علي يتمتع بشخصية قوية وحازمة وذكاء مكنه من تقلد عدة مناصب رفيعة[2]، حيث شغل خطة كاهيه عند محمد باي وبعد وفاته ،قام بالولاية أخوه رمضان باي فأولى للحسين بن علي على ولاية الأعراض في عهد مراد باي وكانت من الولايات الرفيعة وصاحبها له الحرية المطلقة في التصرف في تلك الجهة[3]، ثم تقلد كاهيهلا إبراهيم الشريف ولا شك أن انتماءه للعنصر الكرغلي مكنه من كسب ثقة جميع الأطراف والتعامل مع الأضداد[4].

وبعد انهزام إبراهيم الشريف هرعت الأعيان من هذه الحالة التي آلت إليها البلاد فعزموا على مبايعة أمير جديد يرون فيه الخصال والحزم في إدارة البلاد ،ويكون على دراية بأمورها ووقع اختيارهم على الحسين بن علي الذي كان قد تقلد العديد من المناصب والولايات الجليلة ، ولما رأى من إلحاحهم عليه قبل بالأمر ودخل الحاضرة تونس ،استقبله الأعيان وكبار الدولة والقضاة والديوان العام والخاص، و جلست بالديوان نزولا تحت رغبتهم وبايعه الجمع الغفير وكان ذلك في 12 جويلية سنة 1705م[5].

---

[1] ابن ابي الضياف : **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،ج2 ،1977 ،ص105.

[2] شارل أندري جوليان : **تاريخ إفريقيا الشمالية تونس المغرب الأقصى الجزائر من الفتح الإسلامي إلى 1830م** ،تع: محمد مزالي والبشير بن سلامة : الدار التونسية للنشر ، تونس ،ج2، 1978، ص382.

[3] ابن أبي الضياف : المصدر السابق ،ج2، ص106.

[4] دلندة الأرقش وآخرون:**المغرب العربي الحديث من خلال المصادر** ،مركز النشر الجامعي،ميدياكوم ،تونس،2003،ص63.

[5] محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج :**الحلل السندسية في الأخبار التونسية** ، تح :محمد الحبيب الهيلة ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، مج3 ،1985، ص98.

كان الحسين بن علي متزوجا ولديه ابنة[1]، ولم يكن له وريث فتبنى ابن أخيه محمد علي باشا فنشأ في رعايته ولم يبلغ عمره 17 سنة أولاه السفر بالمهمات فجلي به الميدان وقصر به البلاد[2].

وفي سنة 1709م أهدوه فتاة من جنوه جميلة عمرها 13 سنة من الأسرى أخذها في حرمه أنجبت له أولاده علي ومحمد ومحمود هم الذين قلبوا المخطط السابق[3].

2-أهم حكام الأسرة الحسينية

2-1- الحسين بن علي(1705-1740)

بعد تولي الحكم مباشرة قام بتحصين البلاد فجعل على أبوابها المدافع وحفر الخنادق وشيد الأبراج التي ابتدأها إبراهيم الشريف ووزع السلاح على أهل الحاضرة ونادى في البلاد للدفاع عن النفس والمال والحرمات[4] من خطر الجزائر فتعاون مع الداي محمد خوجه الأصفر تعاونا ناجحا لصده هذه الهجمات وفي 7 أكتوبر سنة1705م يئس داي الجزائر مما أبداه سكان تونس من مقاومة عنيدة ،فقرر الانسحاب ورجع على أعقابه خائباً وكان هذا مكسبًا للحسين بن علي وجنده من الأهالي أكثر من للعسكر التركي[5].

حارب الحسين بن علي الداي محمد خوجه الأصفر الساعي لإعادة سلطة الدايات ،وقد هزمه

الحسين شر هزيمة سنة 1706م[6] ودبر مكيدة لإبراهيم الشريف حيث خرج له الجند متكررين في لباس إفرنجي وقاموا بخداعه بشخصيتهم وقتلوه سنة 1706م[7].

---

[1] Habib Boularès: **Histoire de La Tunisie Les grandes dates de La Préhistoire à la révolution .**Cérès éditions. Tunis. 2011.p393.

[2] عبد الهادي التازي:**أمير مغربي في طرابلس 1143هـ/1731م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الأسحاقي** ، د.د.ن،د.م.ن ، د.س.ن ،ص 141.

[3] Habib Boulares: op.cit. p393.

[4] ابن أبي الضياف : المصدر السابق،ج2 ،ص 107.

[5] محمد الهادي الشريف : **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال** ،تعريب محمد الشاوش ،محمد عجينة ،دار سراس للنشر ،ط3 ،تونس ،1993،ص 82.

[6] رشاد الإمام : **سياسة حمود باشا في تونس 1782-1814م** (رسالة دكتوراء في الفلسفة) دائرة التاريخ في الجامع الأمريكي ،بيروت ،د س د ،ص53.

[7] Habib Boulares. Op.cit.p 393.

سعى الحسين بن علي للحصول على مايجعل حكمه شرعيا من استانبول فتم له ذلك إرسال فرمان* التولية في جوان 1706م[1] ، بعد أن استقرا الحسين بن علي على كرسي المملكة التونسية وتصرف في قطر بلاد أفريقية وسار في الناس سيرة مرضية[2] ويمكننا تقسيم فترة حكم الحسين بن علي التي استمرت ثلاثين سنة إلى مرحلتين كالتالي :

– المرحلة الأولى (1705–1728م) : وتميزت بالهدوء واشتغال حسين بن علي في أعمال العمران [3] فأحي مدينة القيروان ومساجدها وزواياها وبنى لها سوراً[4] و قصرا في بادروا* واتخذه مقراً رسميا لحكومة الإيالة[5]، كذلك بنى الجامع الجديد وهو أول جامع شيد في الفترة الحسينية بجواره أبتنى مدرسة

---

* **فرمان** : وهو الأمر السلطاني الرسمي المكتوب الصادر في قضية من القضايا ويماثله في المعنى :بتي ،و حكم ، ومثال ،وتوقيع ،ويارلغي ،ونشيان ، وبرات ،ومنشور ،كان يتم تدوينه بالخط الديواني في الديوان الهمايوني ويسجل ملخصه في سجل الديوان ،ويشتمل عادة على طغراء السلطان ونوع الفرمان ،والسبب الذي أدى إلى إصداره ،والغرض منه بعبارة صريحة التاريخ ،وكان يصادف في بعض الأحيان تعليق بخط السلطان على الفرمان. أنظر : سهيل صابان : **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ، تر ،عبد الرزاق محمد حسن بركات ،مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض ،2000 ،ص164.

[1] محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ،ص82.

[2] حسن خوجه :**ذيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان** ،مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد ،د س ن، ص19.

[3] فاضل بيات : **الدولة العثمانية في المجال العربي دراس تاريخي في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا** (مطلع العهد العثمانية– أواصر القرن التاسع عشر) مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،2007،ص19.

[4] ابن أبي عبد الله البجي المسعودي :**الخلاصة النقية في أمراء إفريقية** ،ط2،مطبعة بياكر وشركائه ،تونس،1323هـ،ص 119.

* **قصر باردو** : واقع على بعد فرسخ من مدينة تونس هو مكان محصن ذو هندسة رائعة، يتميز بنظافة غرفه المزخرفة وبأحواض الرخام والسواقي الكثيرة .أنظر : ج.أو.هابنسترايت : **رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى تونس والجزائر وطرابلس(1145هـ/1732م)**،تر :ناصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الإسلامي ،تونس ،د س ن ،ص115.أما بوكلير موسكاو الأمير الألماني يصفه بدقة عندما قام بزيارة للقصر فيقول :اجتزنا بابا جميلا في طرفه المقابل فإذا بنا في قاعة متميزة كسيت جدرانها بالقماش الأحمر وفرشت أراضيها بالرخام المصقول الأبيض منه والأسود ،وصولا إلى قاعة الباي وهي قاعة فسيحة شكلت في نضري لوحة مسرحية بأتم معنى الكلمة لإطلاع على الوصف الكامل للقصر .أنظر :حسونة مصباحي ((الارستقراطي الديمقراطي الذي اتسمت أفكاره بالطرافة بوكلير موسكاو أمير ألماني في البلاد التونسية))، جريدة العرب الثقافي، بتاريخ يوم الخميس 2008/1/31م، ص9.

[5] شوقي عطا الله الجمل : **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)** ط1 ،مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة ،1977، ص110.

هي جامع ومدرسة في المكان نفسه[1]، وأضاف له حماما وحصنهم بالأبراج[2]. كما اهتم الحسين بن علي بالعلم والعلماء بإنشائه العديد من المدارس[3]، أهمها المدرسة الحسينية التي بناها غرب جامع الزيتونة وصورها على أحسن صورة ثم قام بانتخاب مدرسا لها ذو علم وافر فازدهرت المدرسة بما أنتجت من طلبة وعلوم قيمة ،كما أنشأ مدرسة أخرى وهي مدرسة صفقاس[4] حيث صرف أموالاَ طائلة في إنجازها وجلب شيوخا متشبعين بالعلم[5]. كما نظم الحسين بن علي نظام القضاء الذي ازدهرت به المملكة وساد فيها العدل[6]، كما ازدهرت الحياة الاقتصادية في عهده وذلك من خلال الصادرات المتمثلة في المنتوجات المحلية سواء كانت ألبسة أو حبوب[7] فقام بإبرام معاهدات مع فرنسا 1710-1728م، ومع انجلترا 1716م،واسبانيا 1720م، وهولندا 1728م، والنمسا 1725م، وهكذا ركز علاقاته الدولية دون تدخل الباب العالي[8].

تغيرت الظروف في الإيالة التونسية ما بين(1720-1728م) بسب الجدب الذي حل بالبلاد وعلى أثره قل الإنتاج وتقلصت الصادرات إلى الدول الأوربية وتناقصت المداخيل التي يحصل عليها الإيالة من التجارة الخارجية، كما أثر هذا الوضع على دور القرصنة أمام هذا الوضع السائد واضطرا الباي حسين بن علي إلى إتباع سياسة جبائية من شأنها الضغط أكثر على البوادي بصفة خاصة القبائل[9].

---

[1] محمد بن الخوجه :**تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد** ،تح :الجيلالي بن الحاج يحي وحمادي الساحلي، ط2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت-لبنان، 1985،ص 311. أنظر أيضا : محمد الباجي بن مامي ،((**جوامع مدينة تونس في العهد العثماني**))، مشاهد24، قسم الثقافة والمعرفة دراسة تاريخية ومعمارية، تونس، 19أوت 2015 اطلعت عليه بتاريخ 26فيفري 2018،ص9.

[2] الوزير السراج : المصدر السابق ،مج 3، ص ص167-230.

[3] ابن أبي الضياف : المصدر السابق ،ج2، ص117.

[4] **صفاقس** :هي مدينة عتيقة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط أيام كانوا يحاربون الرومان ، أنظر : أحمد التجاني : **رحلة التجاني** ،قدم لها : حسن حسني عبد الوهاب ،الدار العربي للكتاب ،ليبيا – تونس ،1981 ، ص ص(68-69).

[5] ابن أبي الضياف : المصدر السابق، ج2، ص119.

[6] **نفسه**،ج2 ،ص 117.

[7] رشاد الإمام : المرجع السابق، ص ص50-57.

[8] شارل أندري جوليان : المرجع السابق ،ج2،ص 382.

[9] عبد الحميد هنية : **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال** ،دار تبر الزمان ،تونس ،2012، ص179.

آخر هذه المرحلة من حكمه قام الحسين بن علي بإحداث الوراثة التراتبيه في الحكم وجعلها مقتصرة فقط في أبنائه فنتج عن هذا الأمر نزاع عن الحكم بين الحسين بن علي وابن أخيه محمد وبهما دخلت المرحلة الثانية من حكمه.

المرحلة الثانية (1728-1735):

كانت الفترة جد مضطربة سياسيا لأسباب ظاهرة ومباشرة وأخرى عميقة وخفيه يميزها الصراع على الحكم بين الحسين بن علي وابن أخيه علي ومرد ذلك أن الباي لم يكن له أبناء فأخذ ابن أخيه تحت جناحه وقلد قيادة المحلة * ،ولما رزق بأولاد قوي عزمه فكلف ابنه من صلبه بالمهمات التي خصصها لابن أخيه، وأعطي له لقب الباشا بدلا عن منصبه القديم ظنا منه أن هذا سيرضي طموحه لكن ابن أخيه استصغر هذه الخطة وخاصة أنه تعود على الأسفار والتنقل في البلاد[1]، هذه التغيرات أدت إلى توتر العلاقة بين العم وابن أخيه ولما كثر الطعن فيه من قبل عمه عزم على الهروب إلى جبل وسلات ** مع شيخه أبو زيد عبد الرحمان البقلوطي، وكان ذلك غروب يوم الجمعة 20 فيفري سنة 1728م، ولما علما لحسين بن علي بفرار ابن أخيه قرر اقتفاء أثره وأرسل خلفه الخيل حيث أسند المهمة إلى "أحمد بن متشين"***الذي خرج في جمع من الخيل قاصدا جبل وسلات ومعه ابناه أبو بكر و مصطفى ،وفي الطريق بلغه أن علي صعد الجبل ولما وصلوه قال لأصحابه من أراد الرجوع فليرجع ومن أراد أن يصعد معي إلى علي فليفعل فتبعه ابناه ومن وافقه ورجع الباقون للباي حسين[2].

تخوف الحسين بن علي من ابن أخيه وهذا لسبب اجتماع أهل وسلات على طاعته وموالاة أحمد بن متشين له، فعد العدة وخرج أواخر فيفري سنة 1728م ومعه أبنائه محمد وعلي وأيضا أخوه

---

* **المحلة** : وهي جمع الضرائب وتأديب المتمردين كانت تفيد المحلة في العرف السياسي آنذاك التأهب لتمتع بالخلافة. أنظر : عبد الحميد هنية : **المرجع السابق** ،ص 178.

[1] عبد الهادي التازي : المرجع السابق ،ص 141.

** **جبل وسلات** : في جنوبي قابس يعرف بجبل دمره وهو جبل عظيم ممتد شرقا وغربا ،في جهة قفصه بجبل الأوطس ،أما في جهة القيروان يعرف بجبل وسلات وهو خصيب ويجئ منه الأموال السلطانية. أنظر: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء :**تقويم البلدان** ،دار صادر ،بيروت ،دار الطباعة السلطانية ، باريس ،1830،ص127.

*** **احمد بن متشين** : هو رئيس عسكر زواوه وأحد الرجال في دولة الحسين بن علي وعد هذا على بن محمد أن يساعد ،ويلحق به لجبل وسلات فوثق فيه .أنظر ابن أبي الضياف : المصدر السابق ،ج2،ص 133.

[2] ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ج2، ص133.

محمدا والد علي باشا قاصدا وسلات ،واستنفر العرب لذلك فأتوه طائعين وكتب إلى أهل وسلات محذرا لهم من شر الفتنة وترغيبهم في الصلح شرط أن يسلموه ابن أخيه الفار على أن يعطيه الأمان ويعيده إلى مرتبته معززا مكرما[1].

رفض أهل وسلات طلب الباي وازدادوا عتوا لإتقان سفك الماء ،استعان الباي بعلماء وصلحاء وسلات، أرسلهم بالأمان لابن أخيه وعندما توسط العلماء الجبل وعلم علي بقدومهم أرسل طائفة من أهل الجبل وأمرهم بإطلاق النار عليهم مشيرا لهم أن ليس هناك جواب إلا ما سمعتموه من أفواه مكاحلنا[2].

هذا التصرف من ابن أخيه استفزه فارتحل إلى جبل وسلات وحاصرهم وضيق الخناق عليهم ،أمر جنوده بالهجوم على الجبل [3] ،اثر هذا الهجوم انهزم الباي حسين بن علي وكانت تعرف بواقعة بورحال ،وإثرها انقسمت البلاد بين مؤيد لحسين بن علي وموالي لعلي باشا ،لجأ علي باشا إلى القبائل وحشدها ودخل في معركة مع عمه تعرف بمعركة جبل الصلاة سنة 1729م إلا أنه انهزم اضطر لفرار نحو الجزائر للاحتماء بها واستقر فيها إلى حدود سنة 1734م[4] .

وفي 1735م حصل علي باشا على مناصرة أتراك الجزائر ضد عمه ،فأمد إبراهيم باشا بمحلة على شروط اتفقوا عليها وسار لتونس قاصدا عمه ولما قرب من الحاضرة التقى الجمعان والتحموا فخذل الحسين بن علي من قبل العرب الذين انضموا إلى علي باشا فاستولوا على محلته ،وفر الباي جريحا إلى القيروان وتحصن بها ولحق به أبنائه فحاصره يونس باي وضيق عليه الخناق إلى أن خرج منها لرفع الحصار فاستشهد قرب مدينة القيروان سنة 1735م وحمل ودفن في التربة المقدسة[5].

وأمام هذه الأحداث لم يبد الباب العالي أي ردة فعل تجاه ما جرى في الايالة التونسية ،واكتفوا بإصدار قرار بإقرار البكلربكية وأمارة الايالة لعلي باشا[6].

---

[1] ابن أبي الضياف:**مرجع سابق**، ص134.

[2] نفسه ،134.

[3] نفسه ،ص 135.

[4] عبد الحميد هنية : المرجع السابق ،ص 178.

[5] أبي عيد الله محمد البجي المسعودي:**الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**،ط2،مطبعة بياكر وشركائه،تونس،1323هـ ،ص 122.

[6] فاضل بايات : المرجع السابق ،ص578.

2-2- علي باشا (1740-1756)

ب) علي باشا (1740-1756) :

تولى الحكم علي باي بن محمد بن علي تركي خلال الفترة(1740-1756م)

حيث اعترف بفضل داي الجزائر عليه وأعلن تبعيته له وتأديته للجزية ،كما فقد أظهر تعلقا شديدا باستقلال تونس كما كانت في عهد حسين بن علي ،كما قام بقطع العلاقات مع فرنسا سنة 1741م، نتيجة لقيام الشركة الفرنسية المسماة بالشركة الملكية لإفريقيا بتخطيط لاحتلال مرسى طبرقة ،فما كان من الباي إلا أن فاجأهم بالاستيلاء عليه ،بالإضافة إلى المجموعة من الأعمال ضد الشركات التجارية الفرنسية التي أدت إلى توتر في العلاقات بين البلدين ،وقد شيد علي باشا المدارس وخزائن الكتب بسبب شدة حبه للعلم والعلماء ،غير أن السنوات الأخيرة من حكمه حصلت فيها فتن كبيرة بسبب الثورة التي قام بها ابنه ضده سنة 1751م، إذ استغل الجزائريون تلك الفرصة السانحة واجتاحت عساكرهم البلاد التونسية ودخلوا العاصمة بكل سهولة ،فقتلوا وسبوا وهبوا ،وبعد أن خنقوا علي باشا سنة 1756م نصبوا على البلاد محمد باي أحد أنجال مؤسس الأسرة حسين بن علي ،وهو الباي الذي قبل لأول مرة في تاريخ تونس ،أن يلتزم للجزائريين بدفع غرامة سنوية كبيرة[1].

3-2- عهد محمد باي بن حسين بن علي (1756-1759م)

تولى محمد باي الحكم، ونظرا لما كان يتمتع به من حلم وحسن خلق إستطاع أن يكسب ود رعيته ،لما كان يوليه لهم من إهتمام بشؤونهم ،حتى أطلقوا عليه لقب الرشيد ،حيث كان يجمع بين اللين والشدة في حكمه، لذلك تميزت فترة بالاستقرار بعد الحرب الأهلية التي شهدتها تونس قبل ذلك ،لكن وفاته المفاجئة يوم الإثنين 11 فيفري 1759م، تاركا ابنين قاصرين هما إسماعيل ومحمود

ولم يكن أكبرهما ،وهو إسماعيل قد بلغ السن الرشد لتولي الحكم ،فتولى عمه علي بن حسين الحكم متعهدا بترك الأمر لإسماعيل عند بلوغه سن الرشد[2].

---

[1] رشاد الإمام ،**المرجع السابق**، ص ص(58-60).

[2] رشاد الامام:**المرجع السابق**، ص 171.

2-4- عهد علي باي (1759-1782م)

بعد وفاة محمد باي ومجيء علي باي للحكم في تونس ،حيث منح الازدهار لتونس بعد أن فقدته لفترة طويلة، كما اهتم بالزراعة وإعادة تنظيم الجيش ،وفتح الباب أمام التجارة الخارجية ،وشهدت تونس استقرار شمل جميع المجالات ،ومن أهم العوامل التي ساعدت على استقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي نذكر ما يلي :

- إتباع علي باي لسياسة اقتصادية حكيمة تمثلت بتقليصه لحجم الضرائب المستحقة على الفلاحين ،وإلغاءه للضرائب المتأخرة من عهد أخيه محمد ،من أجل إنعاش القطاع الفلاحي والحرفي.

- الانفتاح الدولي وتنامي النشاط التجاري العالمي[1].

وفي خضم هذه الأوضاع المتقلبة بين الدولتين ،ألم المرض بعلي باي مما أثار مشاعر القلق عما سيؤول إليه الوضع بعد موته ،ليتدارك علي باي الأوضاع ويعلن عن توليته لابنه حمودة لتنتقل ولاية العهد بسلام ،وكانت وصية علي باي لابنه وابناء أخيه ،بأن يحفظوا على استقرار البلاد ،وطلب من ابنه حمودة باشا أن يكون أبا لأخواته وابناء عمه قبل أن يكون رئيسا، وقد وافت المنية علي باي يوم السبت 31 ماي 1782م، ليؤول الحكم لابنه حمودة ،وقد إعتلى حمودة باشا العرش دون عراقيل[2].

2-5- حمودة باشا (1782-1814م)

اعتبرت فترة حكم حمودة باشا بن علي باي من أعظم فترات التي ازدهرت فيها البلاد في جميع المجالات ،فعلى الجانب العسكري مثلا تقوية الجيوش وإنهاء الوصاية الجزائرية على تونس ،وذلك نتيجة لإصلاحات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية والعسكرية ،حيث تميز حمود باشا الحسيني بإجراءاته الحازمة الجريئة في مواجهة الأزمات منها وباء الطاعون الذي اجتاح تونس في السنة التاليتين من اعتلاءه العرش، وثورة جند الترك سنة 1811م، فقد اعتبر من أعظم ملوك إفريقية في ذلك الوقت.

---

[1] ياسين صنديد ،**الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا (1705-1782م)**، مذكرة الماجيستير ،تخصص:تاريخ حديث ،إشراف:إبراهيم سعيود ،جامعة غرداية ،الجزائر ،2013/2012م ، ص ص(25-26).

[2] **نفسه**، ص26.

3- أهم الأحداث السياسية التي مرت تونس خلال القرن

3-1 ثورة محمد خوجه الأصفر1705م

3-2 الحرب مع الداي محمد خوجه الأصفر 1705م

3-3 ثورة الداعي سليمان1714

هذه الثورة التي كتب عنها الوزير السراج في كتابه "الحلل السندسية في الأخبار التونسية" قائلاً : ((أواخر شوال سنة 1125هـ الموافق ل7 نوفمبر1714م أحد الدعاة من الفاسدين يدعى سليمان)) كان يدعي أنه ابن علي باي وسانده في إدعائه وطمعه في امتلاك الملك "أبو عزيز الحناشي"** إذ طلب منه المسير إلى أولاد مسعود وبعض من عروش الحنانشة *** وشرع يكاتب البوادي لمساندته في مسعاه بلغ هذا الأمر الحسين بن علي فأعطى الأوامر لقائده طراد من أجل الإمساك بهذا الدعي فما كان من القائد إلا أن نفد الأمر رغبة وطمعا في رضا الباي حسين بن علي ،تحرك القائد طراد حين بلغه أن الدعي في قرية إكس بجبل بوعكوس غربي الايالة فقبض عليه ،في هذه الأثناء لحق بالقائد والده إلى الكاف من أجل دعمه لكنه وجده قد نال منه وأعيد الدعي إلى تونس وأصدر الباي أحكامه في هذا الدعي الفاسد[1].

** أبو عزيز الحناشي زعيم قبيلة الحنانشة عرف بقوته وعلو شأنه في قبيلته ،كان دائم الرفض للخضوع للسلطتين الجزائرية والتونسية. أنظر :حصام صورية : **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشرا** (مذكر مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف عبد المجيد بن نعيمة) جامعة وهران ،2013/2012 ،ص43.

*** الحنانشة : قبيلة مضاربها في الحدود الشرقية الجزائرية في منطقة سوق أهراس وهي من القبائل المنتقلة .أنظر : حصام صورية: المرجع نفسه ،ص 43.

[1] الوزير السراج : المصدر السابق ،مج3،ص ص232-233.

3-4 ثورة محمد بن مصطفى 1715

بعد أن قضى الحسين بن علي على الداي الأصفر وبعض المتمردين نعمت البلاد ببعض الهدوء لسنوات إلا أنه جاء من يفسد هذه السكينة حيث قام ببعض الحاسدين ويدعى "محمد بن مصطفى"*هذا الرجل كان من خواص إبراهيم الشريف الباشا أمير تونس[1]، وفي سنة 1715م ترك محمد بن مصطفى لما علم بما أنعم الله به على الحسين بن علي فأبى أن يدخل تحت طاعته وأعرض عن تلبية جميع مطالبه ثم ارتحل ناحية المشرق حيث مكث هناك وردت عليه سفن عثمانية وكان بها القبطان حاتم خوجه حيث دخل تحت ظله شريطة أن يأتي به إلى تونس طمعا في الولاية والحكم[2].

جمع محمد بن مصطفى حوله جماعة بعضهم من باجة وبعضهم من تونس وخرج من مصر**ونزل بتونس فوصل الخبر إلى الحسين بن علي على جناح السرعة[3]جمع الباي الرؤساء والعلماء والباشا والداي والديوان وأرباب الدولة و استشارهم في القضية فما كان جوابهم إلا التأييد واستئصال دابر الفتنة وإطفاء جمرتها بين الخلق فبعث الحسين بن علي الخيل والرجال وراء هذا المفتن وأمر أمره إلى خاله المولية أمر الكاف ،بجد السير وتعجيل من أجل التعرض لهذا الظالم فركب الغزالي من قرية الكاف ،بجد السير وتعجيل من أجل التعرض لهذا الظالم فركب الغزالي من قرية الكاف حيث أوصل الليل بالنهار وعدم التراخي والتأني لإدراكه.

---

* لما وقع القتال بين عساكر الجزائر وإبراهيم الشريف ،غدر محمد بن مصطفى المعروف بابن فطيمة إبراهيم الشريف لما خاف على نفسه من الفتل هرب إلى ناحية القبيلة ولا زال ينتقل من مكان إلى أخر أن بلغ مصر واتخذها دار وتحصن بها. أنظر : محمد الصغير بن يوسف ، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي** ،ط1 ،المطبع العصرية ،تونس ،1998 ،ص 34.

[1] نفس المرجع ،ص ص(33-34).

[2] الوزير السراج : المصدر السابق ،مج2 ،ص 257.

** في سنة 1717 ورد مكتوب من مصر من بعض من له استمداد إحسان بن علي يخاطب به الكاتب أبو عبد الله الحاج حسين خوجه وزير الباي مضمونه أن محمد بن مصطفى ركب خفية مع الركب مغرب فتكونوا على حذر ورد هذا المكتوب في الصيف ومحله الباب بباجة فأسرع الكاتب بإيصال المكتوب إلى الحسين بن علي وأعطاه ليقرأه بنفسه .أنظر: **نفسه** ،ص 288.

[3] محمد الصغير بن يوسف : المصدر السابق ،ص 34.

3-5 ثورة الأعراب

استغلت بعض القبائل المرض الذي ألم بالحسين بن علي وشنوا غارات ونهبوا وبغوا وسبوا وتمادوا في ذلك وكانوا جائرين طغاة حتى قلبوا البوادي العامرة الآهلة بناسها إلى خراب ، سمع الحسين بن علي بجورهم ولمس فيهم عدم التوبة وترك أهوائهم ،فجهز لهم جيشا يردهم على أعقابهم وضل يلاحقهم من بر إلى أقصاهم إلى خارج المدينة .وبعد هذا عاد الهدوء للبلاد وكفى الله شر العدوان ثم أن كل من يرفع إليه شكوى من غريمه أخذ الحسين بن علي بثأر المعتدي ويلزمهم بإرجاع ما أخذ من الشاكي ،حتى عمت البلاد الهدوء والسكينة وقضى على أي مجال لفتنة والثروات[1].

تأديب الحسين بن علي لقبيلة الحنانشة 1724

كانت أسباب هجوم الحسين بن علي على قبيلة الحنانشة وتأديبهم ، هو رفض الشيخ بوعزيز بن ناصر زعيم هذه القبيلة دفع ما عليه من ضرائب سنوية هذه القبيلة كانت تعلن ولائها تارة للإيالة التونسية وتارة أخرى لإيالة الجزائر وكثير ما أعلنت تمردها مما جعل كل من حكام الجزائر وتونس على تأديب هذه القبيلة ،قام شيخ القبيلة بمكاتبة القبائل الأخرى المتمردة وذلك من أجل تحريضها على الحكمين بغرض الانتقام من باي قسنطينة "الحسين بوكمية"*الذي تحالف ضدها مع باي تونس سنة 1713م[2]، كان الغرض من الهجوم هو تلقين الشيخ بوعزيز الحناشي درسا لكي يخضع لإحدى الحكمين لكن هذا لم يحد من قوة القبيلة بل زادها قوة كما استغلت لتثور ضد الحكم التونسي للانتقام من الباي حسين أثناء انهماكه في إطفاء نار الفتنة أيام الحرب الأهلية سنة 1728، فانحاز الشيخ بوعزيز لعلي باشا[3].

---

[1] الوزير السراج : المصدر السابق ،مج2 ،ص ص(271-273).

* حكم (1713-1736م) كان هذا الباي حليف باي تونس إذ ساهم في انهزام قبيلة الحنانشة وكان ذلك سنة 1724م. أنظر: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، دار الامة ،الجزائر،ج3، 2009،ص 233.

2 حصام صورية : المرجع السابق ،ص ص(43-44).

[3] حصام صورية : المرجع السابق،ص44.

3-6 الأزمة الباشية الحسينية 1728

اندلعت الحرب الأهلية في تونس 1728م على يد علي باشا الذي أعلن الثورة ضد عمه حسين بن علي باي تونس الي تراجع عن وعده الذي بمقتضاه سيتمكن علي باشا من الحكم*، وعلى إثر هذا انقسمت البلاد إلى حسينية وهم الموالين للحسين بن علس والباشية[1] وهم القائمون بدعوة علي باشا ،وإلى جانب الحسين بن علي والباشية وهم القائمون بدعوة علي باشا ،وغلى جانب الحسين بن علي نجد القيروان وسوسة والمنستير والمهدية والقلعة الكبرى وصفاقس وقرى من الساحل، ومن القبائل نجد بني رزق والجزء الأكبر من دريد وقبائل جلاص وأولاده سعيد و الهمامة[2] و إلى جانب علي باشا نجد القلعة الصغير ، مساكن جمال ،أكواده ،زاوية سوسة ،جبل وسلات، والقبائل ماجر، الفراشيش ،أولاد عيار ،ورتان وغيرها[3].

شجع تمرد علي باشا وشقة لعصا الطاعة واعتصامها في جبل وسلات مع من ولاه من القبائل على تمرد بعض القبائل في مناطق أخرى من الأيالة فنجد الكاف و باجة قد نشبت فيهما ثورات فسارع حسين بن علي إلى غربي الأيالة من أجل تأديب وإنهاء هذه الثورات، وفور وصوله عادت كل من الكاف وباجة تحت طاعته مجددا ،ثم قام الحسين بن علي بالقبض على رؤوس الفتنة وقتل منهم قرابة السبعين رجلا فاستقام أمر المنطقة ،لكن الثروات لم تكن لتنتهي لأن الباي حسين بن علي اضطرا إلى الدخول ورغم ذلك فالصراع الحقيقي كان ضد ابنن أخيه الذي بقي يلاحقه ويضيق عليه الخناق من منطقة إلى أخرى بصحبة ابنه يونس نحو الحدود الغربية للأيالة وصولا إلى التراب الجزائري فتوغل داخلها إلى أن بصحبة ابنه يونس نحو الحدود الغربية لأيالة وصولا إلى التراب الجزائري فتوغل داخلها إلى أن وجد ملاذا وعونا لدى الجزائر.

بقي الحسين بن علي طيلة المدة التي مكث فيها علي باشا في الجزائر حتى سنة 1735م يحاول حمل الداي عبدي باشا على قتله ابن أخيه غير أن الداي الجزائري الذي كان عبارة عن لعبة في أيدي

---

* القبائل المؤيدة لعلي باشا تسمى صف شداد، أما القبائل ذات الولاء للحسين بن علي أطلق عليها صف يوسف ،ويشمل هذا التقسيم قبائل الجنوب التونسي والقبائل الطرابلسية المتاخمة لأيالة تونس في تلك الفترة. أنظر: سالم الأبيض :**تاريخ شبه جرجيس من العصور القديمة إل نهاية الاحتلال الفرنسي**، تقديم : نور الدين سريب،ط1، الشركة العامة للطباعة، د.م.ن، 2001،ص77.

[1] نفسه ،ص 77.

[2] ابن أبي الضياف : المصدر السابق ،ج2،ص 140.

[3] Habib Boulares: op.cit. p p 397-398.

أعضاء الديوان بقي مترددا ويعطي ذرائعا يتحجج بها للباي التونسي حسين بن علي، أن من دواعي الإنسانية وما تفرضه عليه وتارة أخرى يتحجج بأصول الضيافة وإيواء المستجير مكتفيا بأنه سيبقى علي باشا أسيرا مقابل ذلك أن يدفع له الباي حسين بن علي مبلغ يقدر ب10 آلاف بندقي[1] ، وبقي علي مسجونا إلى أن تغيرت القيادة وخلف عبدي باشا إبراهيم* في حكم الجزائر[2] فأخرج عنه فأخذ يستعد لمجابهة عمه فبعث ابنه إلى الحنانشة فالتفوا عليه واستمال قلوب الرجال في الجزائر من أجل استراد عرشه[3] فأيد داي الجزائر إبراهيم علي باشا في مطالبه مقابل أن تبقى ولاية تونس تابعة للجزائر مع فرض ضريبة سنوية تبلغ 200000قطعة ذهبية فتعهد علي باشا بذلك[4].

3-7 وقعة سمنجة

وقع إبراهيم داي مرسوم إلى باي قسنطينة بوكمية المعروف بالشايب ،أمره فيه بأن يكون دائما في جانب علي باشا ونصرته على خصمه ، فتهيأ باي .قسنطينة بوكمية وجهز جيشا وهاجم أيالة تونس[5]، فوجئ سكان أيالة تونس بالهجوم بسبب الفترة الطويلة التي ساد فيها السلام بين الأيالتين ،أخذ الحسين بن علي يراقب كل صغيرة وكبيرة أوساط الجيش الجزائري الذي استقر بالكاف والتقى الجمعان بناحية سمنجة على نحو 14 فرسخ* من تونس ،دامت المعركة 16يوما ،وفي خضم هذه

---

[1] ألفونص روسو : **الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر** ،نقلها عن الفرنسية ونقحها وحققها وضبطها بأمهات المصادر التونسية وقدم لها بدراس نقدية : الدكتور محمد عبد الكريم الوافي ،منشورات جامعة قاريونس ،بنغازي ،د ت ط ،ص ص 176-177.

* كان من أعيان المستشارين بديوان الحكومة التركية الجزائرية ،وكان يعرف بالخزناجي وقع تعينه لمنصبه الجديد في 2ديسمبر 1732. أنظر: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي :المرجع السابق ،ج3،ص 226.

[2] ألفونص روسو :المرجع السابق ،ص 177.

[3] ابن أبي الضياف : المصدر السابق ،ج2،ص 138.

[4] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : المرجع السابق، ج3،ص 227.

[5] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : المرجع السابق، ص227.

* **الفرسخ** : قد اختلف فيه فقال قوم : هو فارسي معرب وأصله فر سنك، وقال اللغويون الفرسخ عربي محض يقال انتظرتك فرسخا من النهار أي طويلا ،أما حده ومعناه : قالت الحكماء واستدرت الأراض في موضع خط الاستواء ثلاثمائة وستون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ ست حبات شعير مصفوفة بطول بعضها إلى بعض وقيل الفرسخ 12ألف ذراع المرسلة تكون بالذراع المساحة وهي الذراع الهاشمية ،ويقال الفرسخ سبعة آلاف خطوة. ولم أرى خلاف في الفرسخ ثلاثة أميال. أنظر : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي والرومي البغدادي :**معجم البلدان** ،دار صادر ،بيروت ،مج1، 1977،ص ص(35-36).

الأحداث وقعت تغيرات لم تكن في الحسبان إذا أن الباي حسين بن علي تخلت عنه القبائل العربية التي اعتمد عليه فانسحبت سسرا وانضمت إلى الطرف الجزائري ،كما انضمت القبائل المعارضة للباي حسين بن علي وقادها علي باشا بنفسه**، انتصر الجزائريون في هذه الحرب واستولوا على جميع ما كان يشتمل عليه الجيش التونسي ،سمحت هذه الحرب للجزائر بأن تدخل الأراضي التونسية وتفرض عليها ضرائبا وأموالا، وظلت الحرب قائمة بين حسين بن علي وابن أخيه علي باشا انتهت في بقتل حسين بن علي واعتلاء علي باشا عرش الحكم بقوة السلاح[1].

ثَانيا : الوضع الاقتصادي

1- الإنتاج الزراعي

عرف الإنتاج الزراعي تطورا ملحوظا خلال القرنين (16-17م) بفحوص تونس والساحل

حيث زرعت الأشجار المثمرة وأصناف الخضر والبقول وأنواع الحبوب ،وفي المناطق الداخلية التي تشح فيها الأمطار كان الإنتاج الزراعي يعتمد أساسا على ممارسة الزراعة الغير مسقية (البعلية)، وقد يلتجأ إلى السقي بحفر الأبار وإستغلال العيون مع ممارسة تربية الحيوانات والإشتغال بالرعي الموسمي كما هو الحال بجهات الظهر التونسي والجريد ،كما إرتبط الانتاج الزراعي الكثيف بالجهات الساحلية الخصبة حيث ينتشر العمران و يتكاثر السكان ،وشجع عليه استقرار الحكم المركزي وكثرة الغنائم مما خفف الضغط الجبائي على سكان الأرياف وساعد على رفاهية سكان المدن وزيادة قدرتهم على الاستهلاك [2].

يعود الفضل في تطوير الإنتاج الزراعي وتنويعه في المناطق الساحلية للجزائر وتونس خاصة

** كلفت هذه المعركة علي باشا بقاء الجيش الجزائري ماكث بتونس وتعهد علي باشا إلى الباي بوكمية مقابل رحيله حيث وقع اتفاق بينهم تضمن :دفع ضريبة سنوية قدرها خمسين ألف بياستر ،الغنائم المتحصل عليها بعد النصر من نصيب الجيش الجزائري ،تقديم هدايا خاصة للباي بوكمية والداي إبراهيم ،كما أجبر علي باشا على دفع كل المستحقات من القمح للميليشيات الجزائرية كلما احتاجت. أنظر : حصام صورية : المرجع السابق ، ص 61.

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : المرجع السابق، مج3، ص227.

[2] ناصر الدين سعيدوني : **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر– تونس– طرابلس الغرب) من القرن (16–19م)**، قسم التاريخ كلية الأداب ،جامعة الكويت ،حوليات الأداب والعلوم الإجتماعية- الحولية الحادية والثلاثون- 1431 هـ/2010 م، ص28-29.

إلى المزارعين الأندلسيين الذين أحيوا الهناشير (المزارع و الضيعات)، واستصلحوا الأراضي ،وجففوا المستنقعات وأدخلوا أساليب ملائمة لخدمة الأرض ،وأنشؤوا الطرقات ،وأقاموا النوريات (النواعير)، ومدوا القنوات ، وأنشؤوا العيون والحنايا والقناطر وحفروا الآبار والسواقي ،فتوافرت بفضل جهودهم بجهات الوطن القبلي ومجردة الأسفل ،وكذلك فحوص مدينتي الجزائر والبليدة شبكة مائية متطورة ،فعلى سبيل المثال أمكن بفعل مهارة الأندلسيين وفي مقدمتهم الصانع أوسطى موسى (سنة1019هـ/1610م)توفير الماء المدينة الجزائر وسقي البساتين المحيطة بها بمد قنوات بعض أجزائها تحت الأرض من عيون التلاواملي وبير طريلية والزبوجة والحامة بلغ طولها الإجمالي 23228مترا[1].

يلاحظ أن الأندلسيين نجحوا في إدخال مزروعات جديدة لبلاد المغرب لم تكن معروفة أو شائعة مثل النارنج والفلفل والبطاطس والباذنجان والزعفران والسبانخ والكريث والكراث والجلبان والملفوف والقرمز وأنواع الزهور والقطن ،وتوسعوا في زراعات أصابها الإهمال مثل زراعة التوت لتربية دودة الحرير "دودة القز" والعنب والتين والزيتون ،فقد عمل شيخ الأندلسيين مصطفى قردناشي على تجديد غابة الزيتون بتونس ،وغرس 30000 عود زيتون بفحوص عنابة عندما قصدها هربا من مضايقات حاكم تونس علي باشا[2].

على أن هذا الازدهار الزراعي الذي بقيت آثاره حتى فترة متأخرة ما لبث في الواقع أن بدأ يزول مع مستهل القرن الثاني عشر للهجرة (نهاية القرن السابع عشر الميلادي)، وقد ارتبط ذلك بانتشار الأوبئة وظهور المجاعات ،وتناقص السكان ، وزيادة الضغط الجبائي على الأرياف ،وتطبيق سياسة إخضاع القبائل بالدواخل عن طريق شن المحلات العسكرية الفصلية "المحلات"، وتشجيع الصراع بين الأحلاف والعشائر فضلا عن انقطاع سبل الهجرة الأندلسية وانحسار أثرها في المناطق التي استقرت بها أثناء القرن الثاني عشر الهجري (القرن الثامن عشر الميلادي)، دون أن ننسى الآثار السلبية لهجمات الأساطيل الاوربية على المدن الساحلية وفحوصها أو نقل من آثار التخريب الذي نتج عن حركات التمرد القبلي في المناطق الداخلية في وقت أصبحت فيه إيالات المغرب العثمانية مرتبطة بالأسواق الأوروبية عن طريق حقوق التصدير والامتيازات التجارية.

---

[1].M. Dallouni, **Le problème de l'alimentation en eau potable de la ville d alger**, in Bulletin de la Société géographique d alger, 1928,pp.

[2] عثمان الكعاك :**عنابة قبل وبعد الإسلام** ،مجلة الأصالة ،الجزائر ،عدد 34-1976/35،ص 53.

كل ذلك حذ من الإنتاج الزراعي وأضعف صلة الفلاح بالأرض ،فانكمشت الأراضي الزراعية ولم تعد في الغالب تتجاوز فحوص المدن ،وبعض الجهات التي ظلت تحافظ على تقاليدها الفلاحية العريقة متل جهات الساحل التونسي أو التي كانت ملكا للدولة "البايليك" وتستغل تحت إشراف موظفي الدولة مثل نواحي قسنطينة ،بينما تحولت أغلب الأراضي القبلية (المشاع أو العرش) إلى مراع تنتقل عبرها قطعان الماشية بالهضاب العليا وجنوب التيطري ودواخل تونس وإقليم برقة ومرتفعات غريان وجزء من سهل جفارة.

ولم يحد من هذه الظاهرة مؤقتا سوى الاستقرار النسبي الذي عرفته إيالات المغرب العثمانية في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر مع حكم علي باشا بطرابلس وحمودة باشا بتونس في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر مع حكم علي باشا بطرابلس وحمودة باشا بتونس ومحمد عثمان باشا بالجزائر، والتي ساعد عليها إقرار الأمن بالبوادي والارتفاع النسبي في عدد السكان ،وتجدد نشاط البحرية الجزائرية والتونسية والطرابلسية.

هذا وقد سعى بعض الحكام لزيادة الإنتاج الزراعي وذلك بالتخفيف من أعباء الجباية والاعتناء بأمور الفلاحة ،فلم يبخلوا بتقديم إعانات مالية للفلاحين على أن يتم تسديدها بعد الحصاد ،وهذا ما يعرف بالمشترى (تونس وطرابلس) والسفلية أو الصارمة (الجزائر)، فقد ذكر في هذا الشأن ابن ابي الضياف أن سياسة الباي حسين ابن علي (1117-1153هـ/1705-1740م) الزراعية "قد سعدت بها المملكة و أهلها... وامتلأت أيديهم بالمكاسب ،فأثاروا الأرض وعمروها بالحبوب والأشجار وخفف على الفلاحين من أثقال المغارم وما قوى به الأمل وأغرى على العمل..."[1]، وذكرى عهد علي باي (1172-1196 هـ/1759-1782م)" أن الفلاحة لم تلبث أن نمت فيه في أسرع وقت نموا واضحا ، وازداد دخل العشر على الدخل المعهود من "المشترى" زيادة كبيرة[2] هذا وقد أشار حمودة بن عبد العزيز في الكتاب الباشي إلى وضع الفلاحة على عهد حمودة باشا بقوله: "وكثرت الفلاحة والزراعة كثرة لم تقف عند حد ولا بلغت إلى نهاية ،وتزاحم الناس على الأرضين والفدادين شراء وكراء".

[1] أحمد بن أبي الضياف ، ج2،ص 118.

[2] المصدر السابق ،ج3 ،ص 195.

على ان هذا التحسن الظرفي لم يلبث أن تلاشى بسبب تدهور الحالة الصحية والمعيشية منذ سنة 1198هـ/1784م والذي زاد من حدتها تطبيق أسلوب الحملات العسكرية في استخلاص الضرائب مع مطلع القرن 13هـ/ نهاية القرن 18م.

2- النشاط الحرفي

تركز النشاط الحرفي في المدن الرئيسية وفي مقدمتها مدن تونس والجزائر وطرابلس وقسنطينة وتلمسان وصفاقس وسوسة ،حيث ظل الصناع يزاولون مهنهم معتمدين على المهارة اليدوية والتقاليد المتوارثة ومستخدمين المواد الأولية المتوافرة محليا مثل الصوف والجلود والأخشاب والمعادن ،وذلك لتلبية الحاجيات الضرورية لسكان الأرياف وترضية المطالب الكمالية لسكان المدن ، وقد ساعد على تركز الصنائع والحرف في مراكز إيالات المغرب العثمانية (مدن الجزائر، تونس، طرابلس) اعتناء الحكام وتشجيعهم ووجود الحرفيين الأندلسيين واليهود الذين اشتهروا بمهارتهم وجودة مصنوعاتهم ،فتوزعت المشاغل اليدوية والورشات التقليدية في أزقة وحارات (أحياء) عرفت بأسماء الصناعات التي اختصت بها إلى أصحابها ،مثل الشواشية (صناع القلانس) والبشماقجية أو البلاغجية (صناع الأحذية)، القزادرية (تبييض الأواني النحاسية) والمقايسية (صناع الأساور) والجشاقماجية (صناع البنادق) والسرارة (صناع الأسرة) والخرداجية (المشتغلين بالخردوات) والفراغية أو المقفالجية (صناع الأقفال) والخراطين والفخارين والخزافين والصباغين والجيارين والسراجين والنحاسين والسمارين والشماعين والحدادين والنجارين والرصاصين والعطارين وغيرها من الصنائع[1].

3- نظام الجباية

ارتبط هذا النظام بالملكيات وتحكم إلى حد كبير في طريقة استغلال الأرض وفي تطور النشاط الزراعي والحرفي وحتى التجاري. فقد خضعت الملكيات لفريضة العشور عن المحاصيل والزكاة عن المواشي ،فالعشور تحدد قيمته حسب الجابدات أو المشيات ،إذ يفرض مبدئيا على كل جابدة أو مشية صاع من القمح وآخر من الشعير*، مع إضافة حمولتين من التبن ومقدار

[1] عبد الله بن محمد بن الشويهد:**قانون أسواق مدينة الجزائر (1695–1705 م)**، تحقيق وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني ،بيروت ،دار الغرب الإسلامي،2006.

* الجابدة أو المشية أو الزويجة أو السكة : مترادفات لوحدة قياس المساحة الزراعية المتعارف عليها الفلاحون بأقطار المغرب العربي وهي تماثل "جفتلك" بالأناضول. ومساحتها تقدر بما يمكن لثورين أو بقرتين حرثه من الأرض في يوم واحد ،وعادة ما تحدد ب10 هكتارات و6 في الجبل (الهكتار 10.000 متر مربع).

من الزبدة في بعض النواحي ، وهذا ما مكن خزينة كل ولاية من المحصول على مداخيل معتبرة من الحبوب فمقاطعة التيطري بولاية الجزائر مثلا كان يوظف عليها من العشور في أوائل القرن التاسع عشر 20762 صاعا من القمح وملالها من الشعير[1]. ومنطقة طرابلس والجبل كانت أعشارها تقدر في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) (1235 هـ/1820 م)بما لا يقل عن 150000 قرشا [2].

أما بعض الملكيات المشاعة فقد خضعت لعدة مطالب مالية اختلفت تسمياتها باختلاف الجهات مثل الغرامة والمعونة والخطية والمجى ، وهي عينيا من المحاصيل أو تدفع نقدا حسب الظروف ،وفي بعض الأحوال يطلب من قبائل الرعية الخاضعة بالأراضي المشاعة مساهمات إضافية لفائدة القيادة والشيوخ والحكام مثل الادة والضيفة وخيل الرعية وحق البرنوس ومهر باشا والبشارة والدنوش والقانون وغيرها. وقد بلغت هذه العوائد (المطالب) المتنوعة وغير القارة مبالغ كبيرة في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) مع زيادة الضغط المالي على جهاز الإدارة لولاية المغرب العثمانية في استخلاص الضريبة على سكان الأرياف، لاسيما في عهد أحمد القرامانلي بطرابلس (1123-1158 هـ/1711-1745) و حمودة باشا بتونس (1196-1229 هـ/1732-1814 م) والداي محمد عثمان بالجزائر 1179-1205 هـ/1766-1791 م)، فبلغت المطالب المخزنية على سبيل المثال بناحية قسنطينة وحدها ما يقدر ب35700 ريال بوجو[3].

هذا ،وقد تميزت أراضي الدولة "البايليك" بنظام ضريبي خاص إذ كان يؤخذ عليها كراء سنوي محدد يعرف بالحكور مع بعض المطالب العينية إذ أجرت الأرض ،ويوظف عليها العشور ورسوم سنوية زهيدة إذا أعطت أو منحة كإقطاعات لذوي النفوذ والمكانة مقابل الخدمات، وعوض الجرايات* وذلك تكيدا لملكية الدولة ،وحتى لا تتحول الحيازة إلى المنتفع بها ،هذا وقد يكتفي الحكام بأخذ جزء من المحصول إذا استغلت أراضي الدولة مباشرة باستخدام الأجراء "الخماسين"، وفي هذه الحالة عادة ما يسخر رجال القبائل لخدمة الأرض لفائدة الدولة حسب نظام التويزة أو التطوع الإجباري المتعارف

[1].I. Urbain :**Appendice**, Notice sur l ancienne province du Titteri,in Tableau de la situation des établissements francais en Algérie, 1844-1845.p 402.
[2] P. Costanzo Bergan, Tripoli del 1510 al 1850,pp. 281-282
[3].Archives du Ministère de la Guerre (A.M.G) à Vincennes, Rapport Rousseau sur le système monétaire de Constantine, 1838,p 50.

* لجرايات جمع جراية ،وهي مرتبات الجند وعلاوات الموظفين ،تعرف في أقطار المشرق التابعة للدولة العثمانية بالعلوفات أو السليانة ،وقد جرت العادة أن تسدد نقدا أو عينا في نهاية الشهر ،وتضاف لها مكافآت خاصة في المواسم وعند تولية الحكام.

عليه. هذا في الوقت الذي لا تخضع فيه أراضي الوقف لأية ضريبة نظرا للأحكام الشرعية للوقف مع أنها كانت تساهم بجزء كبير من الإنتاج بفحوص المدن خاصة[1].

هذا ،ومما يلاحظ أن سياسة الحكام الجبائية انصبت أساسا على توسيع وتنويع المطالب المخزنية دون محاولة انتهاج أسلوب موحد كفيل بضمان مدخول قار ومحدد للخزينة ،فالبايات المراديون والحسينيون بتونس انصبت جهودهم على توسيع النظام الجبائي دون محاولة إصلاحه بهدف توسيعه لأكبر قسم من السكان بالأرياف والعمل على مضاعفة مردوده حتى تتحصل الدولة على مزيد الإنتاج القابل للتصدير إلى الخارج.

قد حاول علي باي (1759-1782م) بإصلاح الجباية ،فأبطل بعض المظالم والغى المشتري والسلفة التي كانت تقدمها الدولة للفلاحين وتأخذها إنتاجا بعد الحصاد ،وجمع الغلة والتي أضرت الفلاحين ،وأنقضت ما كان الأمناء والملتزمون يوظفونه على المزارع من كراء مرتفع ،وأبطل المقادير الكبيرة التي كانت في ذمتهم وأعفاهم من تسديدها[2]. وواصل هذه السياسة ابنه حمودة باشا (1196-1229 هـ/1782-1814) الذي اعتنى بامور الجباية وأصدر عند توليه الحكم الجباية يناسب الوقت والحال ،وأنا منتضره مكنكم"[3]، وقد أخذ باقتراح كاتبه خمود بن عبد العزيز لجعل الجباية تعتمد على توليت العمال على مشاركة مالية" الالتزام" وأوكل أمر المراقبة والنظر في ذلك للوزير يوسف صاحب الطابع ،على أن هذه الإجراءات كانت تهمل واقع السكان ،وتقتصر على التنظيمات الشكلية تقليدا لما جرى به العمل في الدولة العثمانية ،فلم تستطع رفع الإنتاج ولا تحسين الجباية ،بل كانت حسب قول ابن أبي الضياف في "الإتحاف" :" جسرا لظلم الرعية"[4].

هذا ولعل أهم عامل حد من تطور مردود الجباية يمكن في نظام استخلاص العوائد من الأراضي الزراعية ،فقد اتبع في ذلك طريقتين حسب وضعية السكان ،إحداهما تقوم على التحصيل المباشر للضريبة من السكان الخاضعين لسلطة موظفي الدولة ،وذلك عن طريق أعيان الدولة وشيوخ القبائل

[1] ناصر الدين سعيدوني ،**دراسات تاريخية في الملكية** ،ص ص (35 ، 60-61).
[2] أحمد بن أبي الضياف: مرجع سابق ، ج2 ،ص ص (160-161).
[3] أحمد بن أبي الضياف: مرجع سابق ،ج3 ،ص 23.
[4] نفسه ،ج3 ،ص 24.

،وبتدخل من قادة العشائر وموظفي الدولة الآخرين كما هو الحال في الملكيات الخاصة والأراضي التابعة للدولة حيث تعيش القبائل الخاضعة (الرعية) وجماعات الفلاحين الأجراء "الخماسين".

أما الطريقة الأخرى وهي تشتمل أغلب الأراضي الزراعية الواقعة بالدواخل ،فكانت تعتمد على أسلوب القوة العسكرية ،المعروف بنظام المحلة أو الأمحال لإرغام السكان على دفع ما يتوجب عليهم من مطالب مالية وإسهامات عينية ،وقد كانت الحملات الفصلية لفرقة الأمحال تقصد الأراضي الزراعية في أوقات الحصاد خاصة وأثناء الإقامة بالمراعي ،مع فصل الخريف ،مثل هذه الأساليب وتلك الطرق زادت في شقاء الفلاحين وجعلت نظام الجباية في الاراضي الزراعية غير مفيدة للدولة أو الفلاح على حد سواء.

أما الجباية التي تتصل بسكان المدن تخص الحرفيين والتجار والموظفين وأفراد الطوائف والنقابات المهنية ، فقد كان أصحاب الدكاكين التجارية والمحال الصناعية يدفعون رسوما يقوم عادة باستخلاصها الشواش تحت مراقبة شيوخ البلد ،كما كانت النقابات المهنية التي تضم مجموع الصناع وكذلك الطوائف العرقية تدفع مغارمها عن طريق أمنائها.

المبحث الثاني : الوضع الاجتماعي والثقافي

اولا: الوضع الاجتماعي

عرف الوضع الإجتماعي تحسنا في القرنين 16 و 17م بتحسن الأوضاع المعيشية والصحية ،فتكاثر السكان وتوسعت المدن وإنتشرا العمران في الأرياف وقد ساعد على ذلك إستقرار الحكم المركزي العثماني وقلة حركاة التمرد والحروب القبلية وقلة المطالب المخزنية وقدوم أعداد كبيرة من مهاجيري الأندلس الذين أحيوا الأراضي و عمروا كثيرا من المدن ،وساعدوا على إزدهار النشاط البحري بالمدن الساحلي ،هذا وقد برزا التطورا الإيجابي لوضعية السكان المعيشية في توسع المدن القديمة التي ظلت محافظة على نشاطها، لكن الأوضاع لم تلبث أن تغيرت ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري (منتصف القرن السابع عشر الميلادي)، فقد بدأ العمران في التراجع وانكمشت الحواضر ،وقل سكان الريف ،واستمر تناقص السكان ليتحول مع أوائل القرن الثالث عشر للهجرة (نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر الميلادي) إلى انهيار ديموغرافي حاد صاحبه ترد للحالة الصحية وتدن للمستوى المعيشي لسكان المدن والأرياف على حد سواء ،ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها زيادة الضغط الجبائي على الأرياف الذي ارتبط بتجريد الحملات العسكرية على القبائل المعروفة بالمحلات ،وبحدوث حركات تمرد واسعة النطاق ضد مظالم الحكام وتعسفهم في وقت تعددت فيه هجمات الأساطيل الأوروبية على السواحل، وزاد ضغطها خاصة على مراكز السلطة وهي مدن الجزائر وتونس وطرابلس، كما تميز هذا التراجع الديموغرافي بحدوث القحط أثناء مواسم الجفاف ،والتي أعقبها ظهور المجاعات وتكاثر الأوبئة (خاصة الطاعون) والتي ازدالت وطأتها بإهمال السكان لقواعد الصحة ،وعدم أخذ الحكام بنظام الوقاية الصحية المعروف بالكرانتينا ،والذي كان مطبقا بالموانئ الأوربية ،فإذا استثنينا محاولة حمودة باشا بتونس (1197 هـ/1783م) وصالح باي بقسنطينة (1201 هـ/1787 م) وعصمان باي بوهران (1208 هـ/1794 م) التي ظلت محدودة وبدون نتائج ملموسة فإن إجراءات الحجر الصحي ظلت مهملة أو غير مطبقة[1].

إلا أنه اجمالا كانت الفترة بين سنتي 1697-1798 مواسم خصب وفترة رخاء نسبي وإنتعاش اقتصادي مؤقت ونهوض ديموغرافي ظرفي ،وإن لم يكن لها تأثير كبير على تحسين الأوضاع لإستمرار

[1] ناصر الدين سعيدوني :**الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر** ،ص 88.

حدوث الأوبئة ،ولتعرض الفلاحين بالريف و الصناع بالمدن للمطالب المالية وللضغوط العسكرية والإدارية.

ثانيا: الوضع الثقافي

لقد اجتهد البايات في إعطاء العلم والثقافية حقهما ،وعلى رأسهم الباي حسين الذي أولى اهتمام كبيرا لمدينة القيروان ،لما عرفت به هذه الأخيرة من علم وعلماء نزلوا ودرسوا فيها ،بني وتم ترميم حوالي خمسين مسجد في عهده وأنشئت مدرسة صفاقس ،التي خصت للمسافرين ،وجهزت مدرسة مليئة بالكتب ومزينة بالزرابي المزركشة الجميلة وكان الباي يولي احتراما كبيرا لشيوخ الزوايا ، وظهرت في عهده مدرسة الحركة الغيلانية نسبة لسيدي عبد القادر الغيلاني.

اهتم الحكام بإيصال الماء إلى الساحات العمومية ،وحفر الآبار وملأت المكتبات بالمؤلفات الخاصة بجميع المواد العلمية والفقهية.

عرفت إيالة تونس مؤرخين مشهورين خدموا العلم بمعرفتهم التاريخية وتركوا كتابات ومؤلفات أشهرها قرة العين لمحمد سعادة ،مفاتيح النصر للمؤرخ العيادي، المشرع المالكي لمحمد الصغير بن يوسف والوزير محمود عبد العزيز كتاب الباشي[1]، هذا الأخير الذي عايش الباي التونسي علي باشا الذي لقب في بعض الكتب التونسية بالطاغية ،لكن رغم هذا اهتم ببناء المكتبات وجلب الكتب من الخارج.

كان المؤرخون التونسيون يدرسون الأحداث التي عاصروها بأمر من الحكام الذين كانوا يستفيدون منهم في تعليم خلفاء العرش التونسي ،كما رفض بايات تونس الانغلاق دخل حوصلة الدول العربية. وبفضل سياسة البعض منهم أمثال حمودة باشا تفتحت إيالة تونس إلى بعض مظاهر الحضارة الأوروبية وتأثرت بانجازاتها العلمية فقام هذا الباي بجلب الخبراء والأطباء والمهندسين وغيرهم ،للعمل بإيالة تونس حتى ينشرون خبراتهم لدى التونسين.

[1] Ahmed Abdesselem. Les historiens tunnisiens des 17.18 et 19ème siecle.librairie klincksieck. Printed in tunisia.1973.p260.

أهم المعالم والحواضر الثقافية

1 جامع الزيتونة

جامع الزيتونة* بتونس فقد أبدع في شتى مجالات العلوم النقلية والعقلية ،وضمت مكتبته العامرة ما يزيد عن مائتي ألف مجلد ، أصبح الزيتونة جامعة يدرس فيها العلوم المختلفة ،وتخرج فيها علماء عمالقة في كل مجالات الحياة[1]، كما يعتبر جامع الزيتونة ثاني الجوامع التي أقيمت بإفريقية بعد جامع القيروان.

إن أهمية هذا الجامع متأتية من كونه حافظ على جل عناصره المعمارية منذ فترة تأسيسه ،لذلك يعد أقدم المعالم الإسلامية.

2 مدينة القيروان

أنشأت مدينة القيروان في عهد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان على يد والي إفريقية عقبة بن نافع الفهري سنة 56هـ / 675م فكانت قيروان لجيش الفتح الإسلامي في بلاد المغرب. وبنيت بعيدا عن الساحل البحري والخطر البيزنطي في سهل قريب من مجرى أودية موسمية وخططت المدينة الجديدة حولل نواة جامع من الطين والحجر وفي أقل من قرن أصبحت بوابة المغرب الإسلامي الذي سرعان ما شمل بلاد الأندلس ومن بعدها جزيرة صقلية المجاورة. وكان للدولة الأغلبية الفضل في رسم ملامح المدينة وبناء معالمها الكبرى التي اشتهرت بها حتى أيامنا هذه. وقد كرست أعمال العلماء والأدباء ومهارة الحرفيين هذا العهد الذهبي من الثقافة القيروانية التي لم ينطفئ بريقها بعد قيام الدولة الشيعية الفاطمية وتحول العاصمة مؤقتا إلى مدينة المهدية الساحلية.

---

* جامع الزيتونة : محمد بن الاغلب أمر ببناء الجامع بتونس ،وأنه بدأ في البناء سنة 248 هـ/863 م، وبعد موته واصل عمله أخوه أبو محمد زيادة الله ،ومات هو الآخر قبل الانتهاء من إعادة بناء الجامع. وتوجد نقيشة تحيط بالمربع الحامل لقبه المحارب ،تمدنا باسم المستعين بالله العباسي الذي أمر بالقيام بهذا العمل ،وهي مؤرخة في سنة 250هـ/865م ،ونص النقيشة هو :"بسم الله الرحمن الرحيم ،مما أمر بعمله الإمام المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي طلب ثواب الله ،وابتغاء مرضاته على يدي نصر مولاه سنة خمسين ومائتين (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله) صنعه فتح الله". انظر : محمد الباجي بن مامي ،التأثيرات الثقافية والمعمارية ،أوجه من الحضور الأندلسي بمدينة تونس ، مجلة التاريخ العربي ،سنة 1977 ،العدد 3، ص 133.

[1] محمد العربي الزبيري ،التجارة الخارجية للشرق الجزائري ،مرجع سابق ،ص 48.

وبعد ضم البلاد إلى الدولة العثمانية حرص البايات المراديون والحسينيون على إعادة إعمار القيروان وإصلاح معالمها وأسوارها تبركا بمقام الصحابي الجليل أبو زمعة البلوي وبجامع عقبة.

الفصل الثاني : الطريقة الشابية كحركة دينية وسياسية

المبحث الاول: النشأة و التأسيس.

المبحث الثاني : الطريقة الشابية الظروف ومراحل تأسيس الإمارة

تمهيد

نسبت الطريقة الشابية إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن مخلوف المولود ببلدة الشابة التونسية ،ومنها أخذ كنيته منها ،وقد تلقى تعليمه الأول فيها ،ثم تدرج في تحصيل العلوم حتى اكتمل تكوينه الصوفي بعد رحلات علمية وسياحية طويلة ،وبعد استقراره ببلده طمح في إقامة دولة إسلامية على المنهج الصوفي تضاهي الدول الإسلامية في المشرق بعد أن تهيأت له الأسباب والظروف استطاع أن يجمع عددا من القبائل المؤيدة لمشروعه ويحقق طموحه بتأسيس إمارة إسلامية على الأراضي التونسية وعلى أنقاض الدولة الحفصية المتهالكة ،بعد أن نجح في تطوير الطريقة الشابية كحركة دينية إلى كيان سياسي متمثلا في الدولة الشابية التي حكمت أجزاء كبيرة من الأراضي التونسية طيلة عهدين ونصف من الزمن.

المبحث الأول : النشأة والتأسيس

اولا : الشيخ المؤسس وتكوينه الصوفي

1- الشيخ المؤسس

تنتسب الطريقة الشابية الى مؤسسها الشيخ احمد بن مخلوف المولود ببلدة الشابة*حوالي سنة (835هـ/1431م)**،وبها نشأ وترعرع و تلقى تعليما أوليا، ليقوم بعدها برحلات علمية وسياحية صوفية ، وقد ارتبط اسمه بالبلدة التي ولد بها ونشأ فأصبح يطلق عليه لقب الشابي[1].

2- تكوينه الصوفي

نشأ مؤسس الطريقة أحمد بن مخلوف ببلدة الشابة، وكان عليه أن يتعامل كغيره من أقرانه مع واقع الحال، حيث دخل الكتاب كغيره من الصبية، وتيسر له حفظ القرءان الكريم، وطلبا لاستزادة العلوم قرر الرحلة في طلب العلم و تحصيله، بعيدا عن قريته الصغيرة وما ينقصها من تأطير علمي وقلة للعلماء، وغادر الشابة في رحلة علمية متعددة الاتجاهات لتحصيل العلوم[2].

---

* مدينة تقع على الساحل الشرقي للبلاد التونسية ،والموجودة بضاحيتها الصبية عند مدخل شبه جزيرة برج خديجة ،بين سوسة وصفاقس ،يتواجد بها ضريح سيدي نعمون ،الذي يمثل رمزا للتباهي خلال القرن الخامس عشر، شارل مونشيكور ، **القيروان والشابية (1450-1592)**، ترجمة محمد العربي السنوسي ، دار نقوش عربية،ط1،تونس،2005،ص40.

** وقد توفي الشيخ حوالي(898هـ/1492م) عن حياة الشابي أنظر : علي الشابي، **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية** ،(مدخل لدراسة الطريقة الشابية التي أسسها ابنه عرفة الشابي الدولة الشابية بالقيروان سنة(942هـ/1535م)،الدار التونسية للنشر، تونس 1979،ص22وما بعدها.

[1] علي الشابي، **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية** ،مدخل لدراسة الطريقة الشابية التي أسسها ابنه عرفة الشابي الدولة الشابية بالقيروان سنة(942هـ/1535م)،الدار التونسية للنشر، تونس 1979،ص22.

[2] يوسف بن حيدة : **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية "الطريقة الشابية نموذجاً"، تخصص تاريخ حديث ومعاصر** ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي ليابس ،سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017م

2-1- من الشابية إلى تونس وقصور الساف

انتقل أحمد بن مخلوف من الشابة الى تونس لاستكمال مساره التعليمي، وحسب الروايات فان بداية الرحلة كانت سنة (853هـ/1449م) حيث كان قد بلغ من العمر تسعة عشر سنة، ومكث بها في طلب العلم أعوام*.

وتتميز هذه المرحلة من حياة ابن مخلوف بالغموض، رغم ما تمثله من أهمية في المسار التكويني باعتبارها مرحلة تعليمية مكث خلالها الشيخ بتونس مدة طويلة، ويرجع ذلك الى المصادر التي لم تتناولها بالتفصيل ما عدا بعض الاشارات المتناثرة التي ذكرة بأن ابن مخلوف كان يتردد على دروس العلم بالمدينة دون تحديد للمكان[1].

وقد تطرق على الشابي في دراسته عن أحمد بن مخلوف الى أهم شيوخه الذين تتلمذ عليهم، وأهم العلوم التي حصلها معتمدا في ذلك على الاجازة التي حصل عليها الشيخ، ورواية الأسرة التي تذكر بأن ابن مخلوف قد درس بالمدرسة المستنصرية و من بين الشيوخ الذين تتلمذ عليهم :

الشيخ محمد بن قاسم الرصاع، و الشيخ محمد القسنطيني (ت875هـ/1470م) ومحمد البيدرومي(ت861هـ/1456م)، وأحمد القسنطيني (ت864هـ/1459م)، وأحمد القلشاني (ت863هـ/1458م)[2].

ومن أهم العلوم التي درسها في الفقه "مختصر الشيخ خليل"، و"التهذيب" للبرادعي، و"رسالة أبي زيد القيرواني"، و"كتاب ابن الحاجب الفرعي"، وفي فروع الفقه (جامع الأمهات)، و"مختصر الجلاب"، و"الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق ابن عرفة الوافية" للرصاع، وفي المدح النبوي (الشقراطسية) للشقراسي التوزوري، و"البردة" للبوصيري ،و"تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين"

* لم يذكر النيال التاريخ بالضبط وانما اقتصر ذكره على انتقاله الى تونس في أواخر القرن التاسع للهجرة، أنظر: محمد البهلي النيال، **الحقيقة التاريخية للتصوف الاسلامي**، دار افاق برسبيكتيف للنشر،ط2،تونس.2013،ص193،وحسب رواية علي الشابي فإن مدة الإقامة كانت حوالي ثماني سنوات امتدت حتى سنة(861هـ/1456م): الشابي، **أحمد بن مخلوف**،ص39.

[1] **نفسه** ،ص ص193-194.

[2] الشابي، **أحمد بن مخلوف** ،ص ص33-35.

للرصاع، و"تحفة الأخبار في الصلاة على النبي المختار "للرصاع، وفي التصوف :"شرح وصية الشيخ محمد ظريف"[1].

ورغم ما تحتاجه هذه المعلومات من تأكيد أمام غياب تنوع المصادر التي تناولت هذه المرحل و التي تؤرخ للنشاط العلمي والمسار التكويني لابن مخلوف، خاصة وأن هذه العلوم المذكورة انفرد بها علي الشابي بالتفصيل دون غيره من الكتاب إلا أن هذا لا ينفي حصول الشيخ على علوم متنوعة نظرا لما تميزت به المرحلة من نشاط علمي وازدهار ثقافي وتكوين ما يحتاجه الشيخ لمواجهة التحديات الدعوية، إضافة إلى تنوع خطاب الشابية الذي تناول العديد من الجوانب الخاصة بالشريعة و الحقيقة و الخوض في الجانب الباطني الذي اختصت به المدرسة الأندلسية، وما حمله من رصيد فكري جعل الشابية تواجه معارضة كبيرة من فقهاء القيروان

كما كانت لابن مخلوف اتصالات بشيخ الطريقة العروسية أحمد بن عروس الهواري* (ت868هـ/1463م)خلال تواجده بالمدينة، وأخذ عنه مبادئ الطريقة العروسية الملامتية**،و هذا ما يبرز ارتباط الشابية في سندها و أصولها بالطريقة العروسية، وفي منطلقتها من تجربة شيخها[2].

---

[1] **نفسه** ،ص ص36-37.

* يعتبر الشيخ أحمد بن عروس أحد أقطاب التصوف، نشأ بقرية المزاتين في وادي الرمل بأقصى جنوب الوطن القبلي، درس في مدرسة القيروان، ثم سافر إلى المغرب ليستيزد من العلوم، ولما عاد إلى إفريقية ظهرت على يديه كرامات ساهمت في استقطاب الأتباع حوله، صدرت عنه تصرفات غريبة جعلت الفقهاء يعلنون العداء ضده، أما تأسيس طريقته فكان مابين سنة(1460,1450م)، ولما توفي أصبحت له شهرة في تونس وترك أتباعا وطريقة صوفية انتشرت في شمال إفريقيا، وقد عرفت الطريقة تطورا نتيجة إصلاحات جذرية سنة1795 من طرف الشيخ عبد السلام الأسمر فاقترن اسم السلامة بالعروسية، للتفاصيل أنضر عنه : روبار برنشيفك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن15**،ج2،ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي،ط1،بيروت،1997،ص 145، لطفي عيسى، **مغرب المتصوفة (الإنعكاسات السياسية و الحراك الإجتماعي من القرن 10هـ إلى القرن17م)**،مركز النشر الجامعي، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية بتونس،2005،ص ص323,322.

** طريقة صوفية تنتسب إلى مؤسسها الشيخ حمدون القصارات (ت271هـ/884م) وقد سموا بالملامتية لأن طريقتهم تقوم على ملامة النفس في كل الأحوال، كما تقوم على مجموعة من النواهي، وقد أفردهم بالكتابة الشيخ أبو عبد الرحمان السلمي في رسالته {أصول الملامتية} ، وضمنها بأنه لاتوجد لهم كتب مصنفة، ولا حكايات مؤلفة، وإنما هي أخلاق وشمائل ورياضات ،للتفاصيل راجع : أبو العلا العفيفي، **الملامتية والصوفية وأهل الفتوة**،منشورات الجمل، بيروت،بغداد،2015،ص15.

[2] محمد الكحلاوي، **الفكر الصوفي في افريقية و الغرب الإسلامي**، دار الطليعة للطباعات و النشر،بيروت،2009،ص255.

ويبدو أن الفترة التي قضاها ابن مخلوف بتونس تعتبر طويلة ومفيدة، حيث أفاد م مختلف العلوم، غير أنه اضطر الى مغادرتها مكرها بسبب ضربه لأحد جنود السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان الحفصي(حكم سنة 839هـ/1435م-893هـ/1487م)، فأخبر الجندي السلطان، فأرسل هذا الأخير الى الشيخ ابن مخلوف يخبره عن الحادثة ويطلب منه تعزيز تلميذه، فما كان من شيخه إلا أن طلب منه مغادرة المدرسة حفاظا على علاقته بالسلطان*** .

ومن تونس انتقل ابن مخلوف باتجاه قصور الساف[1]* قاصدا الشيخ علي المحجوب (ت859هـ/1454م)** وكان ذلك حوالي سنة (862هـ/1457م)، واستقر في حضرة الشيخ يعمل في ضيعته بستانيا يغرس الأشجار ويسقيها، واستمر في عمله إلى أن أثمر غرسه، وأصبح يتمتع بتألق صوفي، وبدأت تظهر عليه مظاهر المشيخة، إلى درجة أن شيخه قال له ذات يوم: "شيخ ما يخدم شيخ"، وأرسله إلى القيروان*** .

*** اختلفت الروايات حول الحادثة، ففي رواية علي الشابي بأن أحمد بن مخلوف أثناء تردده على الشيخ بن عروس وجد في بيته رجالا و نساءا بمحضره فتغير في نفسه، ولكن الحادثة التي أدت إلى مغادرته تتمثل في قيامة بصفع أحد جنود السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان، وأخبر الجند الشيخ، فخاف من مكانته عند السلطان فطلب منه الشيخ المغادرة، وفي رواية أخرى أنه من طلبة أحد الشيوخ، كما لم يذكر اسم شيخ ابن مخلوف في هذه الحادثة، للتفاصيل أنظر : الشابي، **أحمد بن مخلوف**،ص41؛وفي رواية النيال: أن الشيخ الذي طلب منه المغاذرة هوا بن عروس بقوله :"ولما عرف السلطان الإعتداء من أحد أتباع الشيخ ابن عروس تغير الشيخ على تلميذه ابن مخلوف، وقال له ياولدي حلفت أن الذي فعل هذا لايعاشرني، فخرج ابن مخلوف باتجاه قصور الساف"، النيال، **المرجع السابق**،ص194.

[1] الشابي، **أحمد بن مخلوف**،ص41 .

* يتحفظ برنشفيك في توجه بن مخلوف لقصور الساف كما ينفي لقاءه بابن المحجوب بقوله :"..إذا كانت رحلة بن مخلوف إلى قصور الساف صحيحة فإن الشيخ الذي توجه إليه ليس بن المحجوب بل هو علي بن أبي القاسم"، برنشفيك، **المصدر السابق**،ج2،ص 366.

** أبو الحسن علي المحجوب ابن الشيخ أبي الحسن علي، سمي بالمحجوب لكثرة احتجابه عن الناس بقصور الساف، كان الشيخ الطريقة و الحقيقة، وقبره غربي قصور الساف، تنتسب إليه كرامات خارقة انتهت إليه تربية المريدين، ومن أهم تلامذته محمد الزرمديني، وأبو الحسن علي الكراي (أبو بغيلة)، وأحمد بن مخلوف الشابي، أنظر عنه: مقديش، **المصدر السابق**،ج2،ص290.أيضا : محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**،ج4،ص319.

*** تختلف الروايات حول إرساله إلى القيروان فهناك من يرى مواصلة تعلمه، والبعض يرى بالمشيخة، أنظر : مونشيكور، **المصدر السابق**،ص41، أيضا: النيال، **المرجع السابق**،ص ص194-195؛الشابي، **أحمد بن مخلوف**، ص ص42-43، نقلا عن **الفتح المنير**، ص ص118,62.

وتمثل هذه الرواية ببعدها الصوفي وصل المريد إلى الشيخ من أجل تعلم مبادئ الطريق، ولكنها جاءت مختصرة تتضمن في ثناياها عنصر الكرامة و المفاجأة، وما حصل للمريد من ترقي نتيجة خدمته لشيخه، وهذا من مميزات الرحلة الصوفية التي تكشف جوانب عديدة من طرف الرحالة المتصوف وأحوال بتعدد نماذجها و تفاصيلها[1].

2-2- الإنتقال إلى القيروان

انتقل الشيخ أحمد بن مخلوف إلى القيروان غريبا وفقيرا متجردا ظاهرا وباطنا، إلى انتهى به المطاف إلى الإستقرار بمسجد أبي عبد الله محمد الدرواني، ويصف مؤلف كتاب مجموع الفضائل ذلك بقوله :"دخل الشابي القيرواني سنة (870هـ/146م) فقيرا متجردا ظاهرا وباطنا وسكن في مسجد أبي عبد الله محمد الدوراني و لصلاحه عينه أهل الحي إماما فيه، ثم مؤدبا بالكتاب هناك وأظهر براعة في التعليم جعلته محل إعجاب خاصة"[2].

2-3- رحلته إلى الحج واتصاله بشيوخ التصوف

تقليدا للسلف، توجه أحمد بن مخلوف إلى مكة لأداء مناسك الحج ولقائه بالمشايخ، وكان ذلك في حوالي سنة(878هـ/1473م)[3]، حيث رافقه في رحلته الروحية ناسكين آخرينمن بينهم الشيخ عبد الوهاب الهندي*،وواجهتهم صعوبات في طريقهم مرورا بطرابلس ومصر**.

---

[1] الحسن الشاهدي، **أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني**،ج2،مطابع عكاظ،الرباط،1990،ص649.

[2] أحمد بن مخلوف الشابي ،**مجموع الفضائل في سر منافع الرسائل في بداية الطريق لأهل التحقيق**، دراسة وتحقيق السوسي مبروك ،كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين، الجامعة التونسية ،تونس،1985،ص366-367.

[3] **الشابي : مجموع الفضائل** ،المصدر السابق،ص 55

* لم ترد ترجمته بالتفصيل إلا فيما ذكره بأن بن مخلوف يعتبر خليفة له، وتذكر الروايات بأن تصوفه كان يغلب عليه تصوف الهنود وهو الإبتعاد عن الدنيا ونشدان الخلاص، وكانت له سياحات صوفية حج مع ابن مخلوف، وصفه عبد الكريم اليماني ب"درة أهل الهند المكرمة، توفي حسب بعض الروايات في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، أنظر : النبهاني، **المصدر السابق**،ج1،ص322.

** لم ترد ترجمته مفصلة إلا ماذكره التباسي حول لقائه بابن مخلوف بمكة وانتفع منه بعلمه وكراماته، بن ميمون، **المخطوط السابق**، ص 17.

وأثناء تواجده بمكة كانت له اتصالات بمشايخ التصوف، ومن أبرزهم الشيخ عبد الكريم اليماني*** والذي أثمر لقائهم الروحي الذي جمع أحمد بن مخلوف بعبد الكريم اليماني بنفحات صوفية، ورغم أن الأدبيات لم تسعفنا بتفاصيل اللقاء وتطوراته، إلا أن الكرامة كان لها حضور، حيث تفرس الشيخ ابن مخلوف بأن زوجته وضعت في نفس الوقت مولودا، فأكد له اليماني ذلك، وأمره بأن يسميه عرفة تيمنا بالجبل[1].

ويبدوا أن هذه الرحلة المشرقية كان لها أثر كبير في تكوين ابن مخلوف وفرصة لتواصل بالعديد من العلماء وشيوخ التصوف، مما ساعده على الإطلاع على الكثير من المسائل الروحية، والتعرف عن كثب بخصوصيات التصوف وشروط المشيخة، لأن السفر بما فيه من شدائد وتجارب وتحصيل معارف يمثل مدرسة تكوينية يتعلم فيها المريد وينمي فيها استعداداته الخلقية، ويطور مواهبه

من خلال البحث على شيخ يوجهه في مسيرته الروحية[2]، وقد عبر الشيخ أحمد زروق* (ت899هـ/1492م)

عن الهدف من رحلته بقوله : طُفت مشارق الأرض ومغاربها في طلب الحق"[3].

كما يمثل فرصة تمتد في الزمان و المكان يزداد معها مجال الصلاح عبر تقديم نموذج لسلوك متواتر عن مجموعة من العلماء و الزهاد، ولقاء بالصالحين يجني منه الولي تكوينا صوفيا، ويحظى على أساسها باحترام الأتباع و المريدين، وبعد عودته إلى القيروان باشر الدعوة إلى الطريقة بشكل يختلف عن

*** للإطلاع أكثر على بعض الأحداث التي يذكرها علي الشابي في سفر الشيخ أحمد بن مخلوف أنظر :الشابي، **أحمد بن مخلوف الشابي**،ص5؛الشابي، **تاريخ الشابية**، ص 80.

[1] مونشيكور، **المصدر السابق**،ص41؛الشابي، **أحمد بن مخلوف الشابي**،ص55.

[2] بن حيدة : **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية**، المصدر السابق،ص14.

* اسمه الكامل أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي و المعروف بزروق نسبة إلى جده ولد سنة(846هـ/1442م) بالقرب من تازة بالمغرب الأقصى، وهو فقيه مالكي، ومن الشيوخ الذين وضعوا قواعد للتصوف، ترك مؤلفات عديدة منها: "قواعد التصوف" و "عدة المريد الصادق" ، توفي بمصراته(غرب ليبيا)، للتفاصيل أنظر عنه :عبد الرحمان بن محمد العياشي، **الأنوار السنية على الوظيفة الزروقية**، الخزانة العامة للرباط، رقم157،ص2؛أيضا :التمبكتي، **المصدر السابق**،ص،ص 130-133؛محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني الحسني، **دوحة الناشر لمحسان من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف و النشر و الترجمة، الرباط،1977، ص48.

[3] أبي عبد الله محمد بن أحمد(بن مريم)،**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1986 ، ص 41.

السابق، حيث كان شأنه قد ارتفع، وتكوينه الديني و العلمي قد ازداد أكثر، بما أظهره من مقدرة على الإقناع و التأثير وسرعة الإجابة، وحسب ماورد في مجموع الفضائل من قول: "حدثنا المبارك بن قاسم قال :حدثنا الشيخ الحافظ عبد الله الممري قال حدثنا جدي قال :أتيت مجلس الشيخ سيدي أحمد بن مخلوف الشابي فحضرته بالقيروان، فسئل المسألة التي يقرأ لها المفتى عدة كتب فأجاب عنها في أول وهلة من غير تأمل ولا نظرا"[1].

ثانيا : المشروع الشابي و امتداده الصوفي

1- المشروع الشابي

بعد استقرار الشابي بالقيروان لم تكن متاحة له بممارسة نشاطه بل وجدا صعوبة في نشر الطريقة داخل مجتمع المدينة، خاصة وأن القيروان كانت مدينة مشهورة بالفقهاء و المتصوفة ومملوءة بالزوايا التي كان لها مربون رسميون وأوقاف و مقدمون، مما أسفر عن تنافس كبير بين الفقهاء والمتصوفة و مملوءة بالزوايا التي كانت لها مربون رسميون وأوقاف ومقدمون، مما أسفر عن تنافس كبير بين الفقهاء وشيوخ التصوف، مما جعل الفقهاء يقحمون شيخ الشابية ضمن أدعياء الولاية، الذين يستغلون جهل الأعراب و سذاجتهم بما يدفعون لهم من فتوحات[2].

ويبدو أن هذا التنافس قد صعب من مهمة بن مخلوف، وجعل مشروعه الصوفي مهدد بالخطر، بين استنكار الفقهاء واستياء شيوخ الزوايا من تصاعد نشاطه ومنافسته لهم وهذا ما عبر عنه التباسي بقوله :"فأحز بعض الحساد في الاعتراض عنه والطعن في علومه الزكية"[3].

ولكن التحديات التي واجهها ابن مخلوف لم تثني من نشاطه وجعلت تصوفه يلقى قبولا وتأييدا من شرائح مختلفة، إلى أن انتهى به الأمر في آخر المطاف إلى اتخاذ موقف صوفي من خلال تأسيسه الطريقة الشابية، التي بدأت تعرف انتشار بإفريقية الحفصية، واتسعت قاعدة مريديها و أتباعها في الأرياف و المدن[4].

---

[1] بن مخلوف، **مجموع الفضائل**، المصدر السابق، ص69.

[2] بن مخلوف، **مجموع الفضائل**،ص70.

[3] بن ميمون، **المخطوط السابق**،ص21.

[4] بن حيدة ،**التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية** ،المصدر السابق، ص15.

ارتبطت الطريقة الشابية بممارسات صوفية لم تختلف عن غيرها من الطرق الصوفية، والتي مثلت مرجعية للمؤسس أحمد بن مخلوف بعد التكوين الذي اكتسبه عن طريق التعلم و الرحلة والتقائه بشيوخ التصوف، وتقلد مهمة المشيخة التي تطورت معها مظاهر الانتماء والممارسة الصوفية التي ميزت الطريقة الشابية وساهمت في تجسيد تعاليمها، كما ترجع الشابية في نسبتها الصوفية إلى الطريقة الشاذلية حيث فرض التصوف الشاذلي نفسه على الحياة الفكرية والدينية بإفريقية[1].

شكلت الكرامة عنصرا أساسيا في الخطاب الصوفي، وارتبطت بشكل أساسي بإرهاصات التأسيس حيث عدتها بعض الأدبيات الصوفية من شروط الشيخ المؤسس، ولم تخلو كتب المناقب المهتمة بالشابية بتناول الكرامات التي ارتبطت بهم كأولياء، فحاولت أن تضفي عليهم هالة من القدسية، ونسجت حول سلوكيات شيوخ الطريقة أعمالا خارقة للعادة، مثلت دورا بارزا في عملية الإقناع والاستقطاب إما مشاهدة أو رواية، حيث يستمد منها الشيخ نفوذه على أتباعه كفعل خارق للطبيعة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها[2].

وللطابع الصوفي وما تعلق به من كرامات دور في تناول هذه العلاقة الروحية بين أحمد بن مخلوف وأقطاب التصوف، مع التحفظ حول ما تضمنته من موضوعات وما يميزها من مبالغات تبدوا بعيدة عن الواقع ،خاصة فيما تضمنه جامع كرامات الأولياء في هذا الجانب.

كما يمثل الفعل الكرامي محاولة لنقل شيوخ الشابية إلى صفوف كبار الأولياء، ضمن ممارسة طقوسية لها أبعاد رمزية صوفية في المجال الشعبي، تجعل الأتباع يصنفون شيوخهم ضمن العالم الواقعي الخارق، ويكتمل معه الخطاب الصوفي المرتبط ببطولة الولي، وتأسيس لسيرة فردية أو شعبية صوفية[3].

2- امتداده الصوفي

يصعب تحديد المجال الجغرافي الذي شغلته الطريقة الشابية، نظرا لتضارب الروايات حول أماكن انتشارها، حيث تطرقت بعض الكتب إلى أن الشابية عرفت انتشارا في مناطق مختلفة من العالم

---

[1] محمد بن أبي القاسم الحميري (ابن الصباغ)، **مناقب أبي سالم التباسي تلميذ أبي الحسن الشاذلي**، تحقيق وتقديم، أحمد الباهي، دار كونتراست للنشر،ط1،سوسة(تونس)،2012،ص 38

[2] فيلالي مختار الطاهر،**نشأ المرابطين و الطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثاني**،دار الفن القرافيكي، ط1، باتنة، د س ن. ص 64.

[3] بن حيدة ،**المرجع السابق** ،ص21.

الإسلامي، رغم أن هذا يحتاج إلى المزيد من التدقيق للتعرف على أهم المناطق التي دخلت في دائرة الشابية وأصبحت تنتمي إلى مجالها الطرقي، حيث كانت انطلاقتها من القيروان مركز الدعوة ومستقر الشيخ المؤسس أحمد بن مخلوف الشابي[1].

ويرجع التعريف بالطريقة الشابية ونشرها إلى الشيخ أحمد التباسي تلميذ أحمد بن مخلوف أثناء التقائهما بإفريقية، ونظرا لما كان يعرفه الشيخ أحمد بن مخلوف من فقر اقترح عليه أحمد التباسي أن ينشر له طريقته في إفريقية حسب قوله :"..فنشرت بإفريقية بأسرها خبره وبثت في كل نواحيها علمه وذكره، فأقبل إليه الناس من كل ناد، وازدحمت على باب روضة سره حضري وبواد"[2].

كما ساهم شيخ الحنانشة أحمد بن نصر المقنعي كأحد دعاة الشابية في انضمام قبيلته لطريقة بن

مخلوف بعد تأثره به وبمكانته العلمية، فقدم المقنعي مساندته للشيخ وحصل منه على مرتبة مقدم، وتدعمت الصلة أكثر بعد قيام الشيخ أحمد بن مخلوف بزيارة إلى أتباعه حصل خلالها على ثروة من الأبقار*، ومن ثم بدأ أسلوب ابن مخلوف في الدعوة بزيارة إلى الأعراب و القبائل والحجيج، واستطاع أن يكسب ودهم بخلقه وعلمه وإرشاده فلقنهم طريقته الشابي[3].

وكان الشيخ يعين مقدمين وشيوخا ليقوموا بنشر طريقته، وكلفهم بالسير إلى كل مكان لينتفع منهم الناس، ويساهموا في التعريف بتعاليم الطريقة الشابية، وقد عبر صاحب الفتح المنير عن ذلك بقوله :"وله مقدمون كثيرون في أقطار الأرض، وانتشرت همته في الغرب والشرق وذاعت دعوته في البلاد القصية"[4].

ولعل من أهم الوسائل التي ساهمت في انتشار الشابية الإتصال بالحجاج، فقد مثلث تونس معبرا للحجاج القادمين من المغرب الأقصى والجزائر، فقد كان للمغاربة اتصال بعرفة الشابي أثناء زيارتهم للقيروان ومنهم من تعلق بالشيخ، وكان لذلك أثر في انتشار الطريقة بالمغرب الأقصى، ويشير صاحب

---

[1] **نفسه**، ص25.

[2] بن ميمون، **المخطوط السابق**،ص20.

* تتناول المراجع التقاء المقنعي بابن مخلوف وسؤاله في مسألة غامضة حول التوحيد فأجابه بن مخلوف عنها فكانت بداية التحالف بين الطرفين :مونشيكور، **المصدر السابق**،ص41.

[3] الشابي، **أحمد بن مخلوف**،ص47.

[4] الشابي، **عرفة الشابي**،ص90،نقلا عن "**الفتح المنير**"،ص74.

الفتح المنير في رواية عن أحد المغاربة الذين لازمو الشيخ عرفة و تأثروا بطريقته و المعروف بالعمري المراكشي أثناء لقائه بالشيخ عرفة في الحج سنة (1003هـ/1594م)أخبره بانتشار مقدمي الطريقة في مراكش ودرعة[1].

ويبدو أن هذا القول يحتاج إلى تأكيد أمام غياب آثار وشواهد تبرز التواجد الشابي بالمغرب الأقصى، مقارنة بالإنتشار الذي عرفته الطريقة بالشرق الجزائري وبخاصة في مناطق مختلفة من قسنطينة وقالمة والجنوب الشرقي[2].

وتشير بعض الروايات إلى وصولها لجبل غريان بطرابلس من طرف أحد أبناء الشيخ عرفة الشابي والمعروف بالطاهر، حيث كان كثير التردد عليهم في رحلاته المشرقية، ورغم أن هذه الرواية ينفرد بها على الشابي، ولم تتناولها الأدبيات الصوفية الأخرى مما يثير تساؤلا وإشكالا حول قدرة الشابي على إقناعهم رغم توجههم الإباضي[3].

أما في المشرق العربي فقد اكتسبت الشابية شهرة بمصر وبلاد الشام، وذلك راجع إلى الشيخ أبي الحسن علي بن ميمون الغماري(ت917هـ/1511م)* دفين بلاد الشام، بما مثله من نموذج للتواصل بين المشرق وبلاد المغرب، بعد اتصاله بعرفة الشابي والذي بدوره أرشده إلى تلميذه في الطريقة

---

[1] الشابي، **عرفة الشابي، مرجع سابق**،ص91.

[2] مونشيكور، **المصدر السابق**،ص**177**.

[3] الشابي، **عرفة الشابي**،ص46.

* هو علي بن ميمون بن أبي بكر بن يوسف بن إسحاق الإدريسي الغماري ولد سنة (854هـ/1450م)بقبيلة بني وزرة إحدى القبائل الغمارية على ساحل البحر الأبيض المتوسط بشمال المغرب، كانت له رحلة صوفية من فاس إلى مصر والشام، وكان من آرائه أنه لايرى لباس الخزقة، انتشرت طريقته المعروفة بالميمونية بالمغرب وبلاد الشام، أنظر عنه : نجم الدين محمد بن محمد الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**،ج1،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1997،ص 273 ومابعدها؛ ايضا :الشفشاوني، **المصدر السابق**،ص28 ومابعدها.

أبي العباس التوزري التباسي(ت930هـ/1524م)نزيل بلاد الجريد**،وإلى هذا الأخير انتسب بن ميمون وأخد عنه الطريق[1].

ثم انتقل بعدها إلى القاهرة، ومنها سافر إلى الحج إلى أن استقر ببلاد الشام[2].

وتمثل رحلته نموذجا من السياحة الصوفية لملاقاة شيوخ التصوف[3]، وباعتباره أحد مقدمي الطريقة الشابية، فقد اتصل بها عن طريق التباسي، وكان له دور في الدعوة لها والتعريف بها، ويشير علي الشابي إلى الدور الذي قام به ابن ميمون في انتشار الشابية بقوله :"وكان يقوم بالدعوة للطريقة وساهم في انتشارها وتكاثر تلاميذها بالشام"[4].

ويبقى غياب الشواهد المادية التي تثبت هذا التوسع، وتطرح إشكالا حول ماتناولته الكتابات الشابية بأن الطريقة وصلت حتى بلاد النصارى، ولكن دون إبراز طريقة وصولها ومكان تواجدها بالضبط رغم أن علي الشابي حاول أن يشير بأن للصراع المسيحي الإسلامي بالسواحل الجزائرية و التونسية وحتى بعض المناطق الداخلية أثر في انتشار الطريقة بين الإسبان، أوربما كرد فعل على سقوط غرناطة مؤكدا على وجود مقدمين في بلاد النصارى دعاة لسيدي عرفة[5].

ولا نستطيع الجزم بالإنتشار في الكثير من المناطق خاصة وأن هذا الطرح يثير الكثير من التساؤلات حول الآثار الذي تركتها الشابية في هذه المناطق، أمام قلة الروايات التي تشير إلى ذلك،

** هي منطقة الجنوب الغربي لتونس، تشمل ولاية توزر، نفطة، دقاش، وكانت تعرف ببلاد قسطيلية، فقد ذكر اليعقوبي بأنها تشمل أربع مدن(توزر، نفطة، الحمة، تقيوس(دقاش)،نفطة وحولها أربع سباخ :أنضر: أحمد بن إسحاق اليعقوبي، **البلدان**، دار الكتب العلمية،ط1،بيروت، 1422،ص 188,189؛ كما كانت تطلق على بلاد الزاب سابقا لكثرة النخيل، ومنهم من أضاف إليها من المدن :نفزاوة ،وقفصة أنظر :ابن سعيد علي بن موسى، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعات بيروت،1970،ص126.

[1] الحلي، **در الحبب في تاريخ أعيان حلب**، ج1،ص،ص952-953.

[2] أحمد الوراث، **من نماذج التواصل الصوفي بين المشرق والمغرب (الطريقة الميمونية)**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة العاشرة، العدد40،يناير2003،دبي، الأمارات العربية المتحدة،ص.18.

[3] بن ميمون، **المخطوط السابق**،ص13.

[4] الشابي، **عرفة الشابي**،ص92,91؛ايضا :الشابي، **أحمد بن مخلوف**،ص75،يشير علي الشابي في دراسة أخرى أن الشابية عن طريق بن ميمون وصلت إلى تركيا، للتفاصيل راجع: الشابي، **تاريخ الشابية**،ص256.

[5] علي الشابي، **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية، المجلة التاريخية المغربية**، العهد الحديث والمعاصر، العدد13و14، يناير،1979،مطبعة الإتحاد التونسي للشغل، تونس،ص69.

وعدم وجود آثار مادية تبرز التواجد الحقيقي و الفعلي للطريقة في الأماكن المذكورة سابقا ولعل الإنتشار الحقيقي للطريقة مثله انضمام القبائل التونسية و الجزائرية إليها، حيث تذكر الروايات في هذا الجانب أن الشيخ أحمد بن مخلوف كان له أتباع ومريديون كثر استمروا على صلة أكثر بالشيخ عرفة، واشتروا له دار ليقيم بها كلما قدم إلى تونس[1]، كما شكلت الدعامة الأساسية لامتدادها الجغرافي وانتشارها الصوفي، وعلى حسب تعبير شارل فيركونات الشابية تترأس مجموعة من القبائل[2].

وقد استفاد شيوخ الشابية من هذه الفصائل في تعميم نفوذها الروحي والسياسي، حيث تعاظمت شوكتها بهدف الوصول إلى السلطة والسيطرة على سدة الحكم[3]،ولم يقتصر نشاطها على هذه المنطقة بل امتد إلى منطقة الجريد بالجنوب، حيث تشير الروايات بأن الشابية في نفطة وصل عدد أتباعها إلى 2500تابع[4].

ويبدو أن الروايات التي تناولت الإنتشار الواسع للطريقة قد تحمل بعض المبالغة، أمام التراجع الذي عرفته الطريقة في المراحل الأخيرة، ولم تترك معها رصيدا ماديا أو بشريا يدعم خريطة هذا الإنتشار، ويثبت محافضة الشابية على استمراريتها بتعدد مؤسستها وأتباعها[5].

ثالثا : امكانيات الشابية وموردها المادية

إرتبط نشاط الطريقة الشابية كغيرها من الطرق الصوفية بدعائم وإمكانيات ساهت في توسيع نفودها والمحافظة على استمراريتها، وتتشكل هذه الإمكانيات من العنصر المادي والمتمثل في الأموال المنقولة، إضافة إلى العنصر البشري أساس الطريقة وأحد أركان نشأتها وتطورها.

1- الموارد البشرية (الدعامة القبلية)

استندت الطريقة الشابية في نشاطها على شبكة من القبائل والمتكونة من عدة فصائل عربية أو بربرية مثلت دعامة أساسية في الجانب الصوفي والسياسي.

---

[1] **نفسه**،ص74.

[2] feraud.**Les Hrare**.**op cit**.**p135**.

[3] لطفي عيسى، **مغرب المتصوفة**، (الإنعكاسات السياسية والحراك الإجتماعي من القرن 10هـ/17م) مركز النشر الجامعي ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2005ص 317.

[4] بن ميمون، **المخطوط السابق**،ص21.

[5] بن حيدة ،**المرجع السابق** ،ص28.

ولقد لعب الشيوخ الطريقة دوراً هاما في انضمام القبائل للشابية عن طريق الدعوة الدينية، وكان أسلوبهم في التعريف بالطريقة وتعاليمها متنوعا، فقد قاموا بمراسلات مثل ماكان يفعله الشيخ أحمد بن مخلوف، إضافة إلى النزول إليهم بعقر دارهم وتعريفهم بما تتضمنه سلوكات وتعاليم الدين الإسلامي والفكر الشابي، ورغبة منهم في الإستفادة من نفوذ القبائل ورصيدها البشري لأهداف متنوعة، والتي من بينها ضمان مصادر دخل قارة عنطريق الزيارات التي يقدمها الأتباع، والإستفادة في تجنيدها العسكري لمواجهة الخطر المهدد لها أو للوصول إلى السلطة وسدة الحكم[1].

وقد أوكلت الطريقة الشابية لنفسها مهمة صهر القبائل البدوية داخل منظومة"الإسلام الشعبي"

القريب من أذهانها، وقدمت نفسها كبديل أمام تعقد دين النخبة الذي يصعب استيعابه من طرف العامة، وبهذا شكل التصوف الطرقي الشابي المجال الوحيد لتدين الأصناف المذكورة.

2- الموارد المادية

واجهت الشابية صعوبات مادية في بداية نشأتها بسبب الفاقة التي عاشها مؤسس الطريقة، وتعففه عن المكاسب المادية حسب رواية التباسي التي ينقلها عنه تلميذه ابن ميمون بقوله: "فدخلت قرى إفريقية وبواديها أجمع له الفتوح وهو متعفف عن ذلك غير راض به"[2]، ومع تزايد عدد الأتباع وانتشار الطريقة تدعمت مواردها التي يمكن تقسيمها إلى موارد مادية منها المنقولة والمتمثلة في الإعلانات والهدايا والفتوح، وأخرى غير منقولة تشمل الأوقاف والحبوس.

2-1- الإعانات والفتوح

ارتبط تدعم المجال المالي للطريقة بالإعانات التي يقدمها الأتباع حيث نجد بأن القبائل المنتمية للشابية كانت تدفع إعانات مادية، وهذا ماعبر عنه برنشفيك بقوله :"فأصبح بن مخلوف يتمتع بمساندة أنصاره البعيدين ماديا وأدبيا"[3].

ومن أهم القبائل التي كانت تدعم خزينة وموارد الطريقة قبيلة الحنانشة التي كانت تعطي لابن مخلوف أموالا باعتبارها زكاة شرعية، وساهمت في تحسن حال بن مخلوف من عسر إلى يسر بداية من

[1] لطفي عيسى، **مغرب المتصوفة**،ص317.

[2] برنشفيك، **المصدر السابق**،ج2،ص367

[3] DeppontetCoppolani. **op cit**. **p**218

سنة(879هـ/1474م)، وكانو يدفعونها له كل سنة لما كان يتردد عليهم في مواطنهم لتلقينهم أصول الطريقة الشابية[1].

كما قام الشيخ عرفة الشابي بتحويل هذه الزكاة إلى عادة قارة بعد تأسيسه للأمارة الشابية، ولم ينقطع الأتباع عن دفعها لشيوخ الطريقة بعد وفاته بزمن طويل، وهذا ماجعل الأدبيات الشابية تصفها بأنها كرامات من الشيخ عرفة الشابي[2].

وأغلب القبائل التي كانت تابعة للشابية والتي بلغ عددها أربعة عشر قبيلة حسب الروايات كانت تؤدي ما يعرف "بالعادة" أو الزكاة لعرفة الشابي[3]،وهذا الشكل من الموارد اختلف حسب فترات نشاط الطريقة، ففي عهد أحمد بن مخلوف الشابي كان العون المادي في صورة فتوح، ثم في صورة زكاة ثم عادة* تؤدى لعرفة الشابي في شكل ضريبة خاصة لايمكن التخلف عنها، واستمرت القبائل في تقديمها للطريقة ولبيت الشريعة**.

وقد مثلت الإعانات المادية التي كانت تدفعها القبائل لشيوخ الشابية، والهدايا من مريدي الشيخ كنزا[4]،ساهم بشكل كبير في توسع نشاط الطريقة وغناها وارتفاع ميزانيتها، مما جعلها حسب تعبير بلغيث من أغنى الحركات الصوفية في تاريخ المنطقة[5]،إن انضمام القبائل للشابية قد ساهم في تدعيم وتأهيل الطريقة لإقامة دولة في عهد عرفة الشابي، وبهذا كان الإرتباط الشابي القبلي هو المحدد لحجم الإعانات والفتوح، فكلما فكت القبائل التحالف عن الطريقة تراجع نفوذها المادي والروحي، وبعد

---

[1] بن مخلوف، **مجموع الفضائل**،ص77.

[2] لطفي عيسى، **مغرب المتصوفة**،ص346.

[3] الشابي، **مصادر جديدة لتاريخ الشابية**، ص73.

* سميت بالعادة أو عادة الشابي بعد أن اكتسبت صفتي اللزوم والإستمرارية، :الشابي، **تاريخ الشابيةً**،ص423.

** يشير الشابي إلى أن العادة استمروا في أخدها إلى أن اختفت بيت الشريعة سنة (1248هـ/1867م)، حيث اقتسمت الهمامة العادة بين ثلاثة عائلات (أبناء محمد بن بورقعة، وأبناء سعيد، وأبناء حامد، الشابي، **عرفة الشابي**،ص ص(82-86).

[4] مونشيكور، **المصدر السابق**،ص105.

[5] محمد الأمين بلغيث، **الشيخ محمد بن عمر العدوني**، مؤرخ سوف والطريقة الشابية، ط2، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، جيجل، الجزائر،2007، ص109.

أن اختفت بيت التشريعة بوفاة الحاج أحمد بن عما[1]ر سنة(1284هـ/1867م) وزعت العادة على فروع الشابية، واختصت القبائل الحليفة في كل من تونس والجزائر بها[2].

2-2- الأوقاف والحبوس

تمثل الفتوح والإعانات المادية للقبائل أهم مصدر مالي للطريقة ساهم في غناها وبخاصة في عهد عرفة الشابي، وارتبطت بها مصادر أخرى ممثلة في الأوقاف والحبوس والبساتين، ومع ذلك فإن المؤلفات لم تسعفنا في التعرف عليها، ماعدا بعض الروايات التي تناولت مكانة الشابية في فترات محدودة ،علما بأن الطريقة لم تعرف ازدهارا كبيرا وتوسعا في المجال وعدد الأتباع إلا في عهد عرفة الشابي الذي يبدوا حسب الأدبيات الشابية قد عرف ثراءا بامتلاكه لأموال كثيرة وأملاك متنوعة* كما عرفة الطريقة ممتلكات وبساتين بالجريد التونسي والجنوب الشرقي الجزائري بعد استقرار أتباعها بالمنطقة، حيث اشتملت على بساتين للنخيل**.

ولعل امتلاك الطريقة لأوقاف وحبوس وبساتين، والإستفادة من موارد الجريد كانت في فترة معينة، لما كانت الطريقة تتمتع بنفوذ قوي بكثرة عدد أتباعها، وتراجعت عندما بدأت الشابية تفقد سلطتها بعد سيطرة القبائل والأتراك على المنطقة، إضافة إلى تحركاتها المستمرة وموقفها من السلطة الحاكمة وخاصة الصراع المستمر مع الأتراك.

ولذلك نجد بأن الشابية لما أعرضت عن التوجه الإحتجاجي وتقربت من السلطة الحاكمة حصلت على أوقاف مثل ماحدث في عهد الشيخ أبو عبدالله محمد بن جدو بن أحمد الصغير الذي تولى مشيخة الطريقة مابين(1103هـ/1691م و 1123هـ/1711م)،بعد أن وثق صلاته مع الباي محمد الكبير فحبس عليهم سنة(1107هـ/1695م)هنشير قرابة بالدهماني وجنة نخيل بلماري بحامة

[1] انظر الملحق رقم 06 ، صورة لضريح الشيخ عمار بتوزر..

[2] الشابي، **تاريخ الشابية**،ص424.

* هذه ذكرها علي الشابي الذي استند إلى رسالة وجهها عرفة الشابي إلى شارل الخامس بتاريخ30 أفريل1538، وإلى الفتح المنير، الشابي، **تاريخ الشابية**،ص296.

** تتمتع مشايخ الطرق الصوفية بالجريد بنفوذ وممتلكات وأصبحوا من كبار الملاكين خاصة شيخ الزاوية الرحمانية بنفطة، والزاوي القادرية بنفطة، أنظر: التليلي العجيلي،"**الوضع الطرقي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد76/75،زغوان تونس، ماي1994،ص309وما يليها.

الجريد، وجنة نخيل كلما حمو في توزر، وقد قسم التحبيس أخماسا على الإشاعة، ثلاثة أخماس لشيخ بيت الشريعة أبي عبد الله محمد بن جدو وعقبه، وخمسان لعمه أبي عبد الله محمد زوزو بن علي[1].

وتتضمن وثيقة التحبيس كيفية الإستفادة منه، وانتقال الوقف إذا ما انقطع عقب شيخ بيت الشريعة وعمه إلى زاوية جدهما الشيخ محمد مسعود الشابي بجبل ششار قرب خنشلة، لينفق ريع غلتها لإطعام الزوار المنقطعين الواردين عليها، وقد جدد رسم التحبيس بعد عشر سنوات من هذا التاريخ سنة(1117هـ/1706-1705م)[2].

وماعدا هذا الوقف المذكور فإننا نجد نقصا كبيرا في مايخص ممتلكات الطريقة ،إلا ماتعلق ببعض الوثائق التي تتجاوز هذه الفترة، وتتضمن بعض المراسلات بين الشابية والسلطة الحاكمة ،ومنها رسالة من الحاج محمد بن إبراهيم الشابي المؤرخة في سنة(1900/1318م) إلى الوزير الأكبر محمد العريف بوعتور يطلب منه السماح له بالوقوف على ممتلكات الطريقة الموقوفة على ضريح مسعود[3] الشابي بجبل ششار وإصلاح ما أفسد منها*.

ويبدو أن ممتلكات الشابية من الأوقاف قليلة ولعل هذا يرجع إلى حجم نفوذ الطريقة مقارنة بالطرق الأخرى، إضافة إلى فقدانها لممتلكاتها بعد سقوط دولتها وتفرق أتباعها بين تونس والجزائر والمنافسة التي وجدتها من الطرق الأخرى التي كانت ممتلكاتها أكبر مثل القادرية والرحمانية وحتى التيجانية بمنطقة الجريد**.

---

[1] الشابي، **العلاقات بين الشابية والأتراك**، ص ص85-86.

[2] نفسه،ص86.

[3] انظر الملحق رقم 04، ...مقام الشيخ مسعود الشابي بزاوية جبل ششار خنشلة.

* كان طلب السماح له بالتنقل وفق مقتضى الشريف الذي يتضمن الإذن بالتسريح من الحكومة، للتفاصيل أنظر : **رسالة الحاج محمد بن ابراهيم الشابي إلى الوزير الأكبر محمد العزيز بوعتور: Dossier3/1 .1895/1887.A.N.T.Serie (A). carton24.**

** مثل مشايخ الطرق بالجريد أن يصبحوا من كبار الملاكين خاصة شيخ الزاوية الرحمانية بنفطة، والزاوية القادرية بنفطة، العجيلي، **الوضع الطرقي بالجريد**،ص309وما يليها.

المبحث الثاني : الطريقة الشابية الظروف ومراحل تأسيس الإمارة

أولا : الظروف والعوامل المساعدة في تأسيس الإمارة :

لقد ارتبطت قيام الإمارة وتأسيسها بعوامل ومتغيرات سياسية كان لها الاثر الكبير في تدعيم نشاط الطريقة الشابية وتحولها إلى تأسيس الإمارة بالقيروان رغم الصعوبات والتحديات التي واجهتها ومن أهم هذه الظروف والعوامل نذكر منها :

1- ضعف وتقهقر الدولة الحفصية

بدأت السلطة الحفصية تعرف ضعفا وتراجعا لنفوذها مع القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر حيث كانت تعيش أخر حلقاتها السياسية ، بعد أن تقلص نفوذها إلى مدينة تونس وضواحيها ، وتعود بدايات تراجع الدولة إلى فترة حكم السلطان أبي عبد الله محمد الحفصي (989هـ / 1481م _932هـ / 1525م)* الذي استمر في حكمه لمدة نيفا وثلاثين سنة حتى وفاته سنة (932هـ / 1526م)[1] ووصف الحسن الوزان سيرته بقوله : " .. كانت له عادات وسيرة تختلف عن عادات الملوك السابقين وسيرهم ، حيث كان يأخذ الأموال من أتباعه فيعطي جانبا منها للبدو ، وينفق الباقي في بناء قصوره ، وكان يعيش في هذه القصور حياة ماجنة بين العازفين والمغنيين والمغنيات إما في القصور وإما في الحدائق الغناء .."[2] ، كما تميزت فترة حكمه بعدم الاستقرار وحروبه مع القبائل وتعرضه للهزائم المتتالية أمامها ، وفقدت الدولة الحفصية جزءا كبيرا من مساحتها فخرجت جربة عن سلطتها ، واستقلت المدن في جزئها الشرقي عن نفوذها مثل قسنطينة وبسكرة وانفرد الشابية بالقيروان[3].

---

* هو ابن المولى أبي الحسن بن الأمير أبي عبد الله محمد المسعود بن أبي عمر عثمان ، بويع يوم وفاة ابن عمه أبي زكريا وجلس بالقبة وبايعه الخاص والعام .. للتفاصيل أنظر عنه : أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار ،**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، طبعة الدولة التونسية،ط1،تونس، 1986 ،ص 181 .

[1] بن أبي دينار ، **المصدر السابق** ، ص 181 .

[2] **نفسه** ، ج 2 ص ص 385 ، 388

[3] Mercier(Ernest)Histoire de LAfrique Spenterionale,T3,Ernest Leroux,èdition, Paris 1891, P6.

أما السلطان أبي محمد الحسن *الذي خلف والده سنة (932هـ / 1526م) ، فقد حاول إرجاع هيبة الدولة عن طريق رفع الضرئب عن السكان ، إلا أنه لم ينجح في إعادة الاستقرار مما اضطره إلى تغيير سياسته ، وهذا ما عبر عنه بن أبي دينار بقوله : " .. ولما تولى رفع المكوسات ، وأجرى عن الناس العادة العثمانية ، وسار سيرة حسنة في أول الأمر[1]، أما أواخر عهده فقد عرف انهيارا بسبب رجوعه إلى السياسة الجبائية ، مما أثقل كاهل الأهالي[2].

كما اقترنت سياسته الضريبية بأسلوب آخر يتمثل في الحملات العسكرية لإرغام السكان رغم فشلها ، وهو ما يشير إليه ابن أبي الضياف بقوله : " إلا أنه ضرب في حديد بارد " [3] ، ورغم تظاهره بحسن السيرة إلا أن ذلك لم يدم طويلا إذ ساءت سيرته بين الناس وحدثت إضطرابات شملت مناطق مختلفة من السلطنة ، فخرج الجنوب التونسي عن سلطته وبعدها عمت الإنتفاظات جل البلاد ففقد السيطرة عليها بعد استياء شعبي عام[4].

2- تمرد القبائل البدوية على السلطة الحفصية

تعرض السكان إلى تهميش من طرف السلطة الحفصية وخاصة البدو من الأعراب وتفضيل سكان المدن عليهم ، وتشكلت طبقة استأثرت بخيرات البلاد والنفوذ، وهمشت القبائل البدوية مما جعل سكان البدو من قبائل يميلون إلى العنف والمقاومة نتيجة الإقصاء ، واستغلال الحفصيين لطبيعة العلاقة بين الريف والمدينة ، فتفاقم مفعول الحرابة القبلية ، وتم اللجوء إلى زوايا الأولياء وشيوخ الصوفية[5] للتخلص من الظلم ولاستجلاب دعائهم وشفاعتهم وبركتهم ، وعلى رأسهم الشيخ عرفة

---

* هو ابن محمد ابن الحسن ابن المسعود ابن المولى عمرو بن عثمان بويع بعد وفاة والده يوم الخميس يوم 25 من ربيع الثاني ، للتفاصيل ينظر عنه : بن أبي دينار ، **المصدر السابق** ، ص 183 .

[1] بن أبي دينار : **المصدر السابق** ، ص 183

[2] مارمول كاربخال : **إفريقيا** ، ترجمة محمد حجي وآخرون ج 3 ، دار النشر المعرفة للنشر والتوزيع الرباط ، 1986 ، ص 98

[3] ابن أبي الضياف : **المصدر السابق** ، ج 1 ص 191 .

[4] شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية** ،ج 2،تع محمد مزالي،البشير بن سلامة،الدار التونسية للنشر،تونس ،1978، ص 346 .

[5] بيل : **المرجع السابق** ، ص 391 .

الذي كان لهم بمثابة الموجه والقائد يلقنهم مبادئ الطريق ويوجههم توجيها دينيا كما أيقظ احساسهم القومي ، ونجح في إقناعهم بدعوته للإطاحة بحكم الحفصيين [1].

3- توتر العلاقة بين السلطة الحفصية والشابية

عرفت العلاقة بين السلطة الحفصية والطريقة الشابية توترا في فترة حكم السلطان أبي عبدالله محمد الحفصي[2] ، حيث تعرض عرفة الشابي السجن بسبب ما كانت تعرفه الفترة صراع بين العلماء والمتصوفة ، ومكث في الشابي في السجن مدة تسعة أشهر حسب الروايات وبعد خروجه تولى رئاسة الطريقة ، وكان أكثر تصميما على الثورة ومقاومة للتدخل المسيحي والتخاذل الحفصي ، وهذا ما جعل السكان يلتفون حوله ويدعمونه بما أثاره من حمية دينية ونزعة جهادية.

4- تدهور الأوضاع الاقتصادية

عرف الوضع الاقتصادي لتونس في أواخر القرن الخامس عشر بسبب تراجع الحركة التجارية وتقلص نشاطها في حوض البحر الأبيض المتوسط مما أثر سلبا على الأوضاع المعيشية للسكان كما عرف مردود الأرياف تراجعا بما ينتجه من محاصيل زراعية وثروة حيوانية ، مما أثر على التجارة التي بدأت تعرف جمودا ، وانعكس ذلك على الدولة بفقدانها لسلطاتها على المجتمع ، مع مواصلتها لسياستها الضريبية المفروضة على السكان[3]، وكثيرا ما كانت الاضطرابات السياسية تؤثر على الأوضاع الاقتصادية والأحوال الاجتماعية بما تخلفه من خسائر كبيرة ، إضافة إلى ما عرفته المنطقة من فترات الجذب والجفاف وأثرها على الحالة المعيشية بانتشار المجاعات والأوبئة ، والتي من بينها الطاعون الذي كان من نتائجه إفقار تونس سنة (1468م)[4].

---

[1] لطفي عيسى : **أخبار المناقب** ، ص 35 .

[2] الشابي : **عرفة الشابي** ، ص 102 .

[3] عن الضرائب وأنواعها : أنظر برنشفيك ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 248 وما بعدها .

[4] **نفسه** ، ج 2 ، ص 461

5- استغلال الطريقة الشابية لمكانتها الشعبية

عرفت نفوذا وانتشارا واسعا في أوساط المجتمع ، وهذا ما جعلها تستغل الفراغ السياسي الذي خلفته ضعف الدولة الحفصية ، مما مهد لها الطريق لتأطير القبائل من أجل التخلص من النفوذ الحفصي .

6- التفاف القبائل حول الشابية[1]

انتقلت الشابية من مرحلة التكوين في عهد المؤسس أحمد بن مخلوف الشابي إلى مرحلة التمكين في عهد عرفة الشابي[2] الذي التفت القبائل حوله ، وذاعت شهرته بسبب المكانة المكانة التي احتلها في قلوب الناس ، ومثلت هذه القبائل الدعامة الأساسية للطريقة في فترات مختلفة وخاصة في فترة توليه المشيخة رغم ما تميزت به من تقلبات ، حيث كانت مواقفها متغيرة بين معسكرات النزاع ، وهي على حد تعبير مونشيكور : " .. عدد كبير من الأقوام المتحركة المترددة في شعاع عريض ، تمتد فيه مساحات ترحالها المتجمعة من نواحي طرابلس إلى نواحي قسطنطينة .." [3]، تسعى من خلال مشاركتها إلى تحقيق فوائد مادية بدعمها للسلطة من غنائم الحروب ، والتمتع بريع جبائي أو انفلات أمني يؤمن لها من ريع الإغارة والغزو موردا غزيرا له[4].

وقد ساهمت هذه المتغيرات والظروف وغيرها من العوامل الأخرى في تهيئة المجال وتدعيم الرغبة الانفصالية لعرفة الشابي وانفراده بالسلطة عن طريق تأسيس دولة قومية صوفية انفصالية في القيروان مناهضة للنفوذ الأجنبي ، وطرف جديد في الصراع مع القوى المتواجدة بالمنطقة.

---

[1] انظر الملحق رقم 02، التوزيع الجغرافي للقبائل الحليفة للشابية.

[2] محمد الأمين بلغيث : **الطريقة الشابية في تونس والجزائر** (محاولة لرسم مسار الحركة) خلال القرنين 16 و 17 ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 114 ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، زغوان ، جانفي 2004 ص 39

[3] مونشيكور ، **المصدر السابق** ، ص 98

[4] مبروك الباهي ،**القبيلة في تونس في العهد الحديث(ق16-ق19م)، من بداوة الجمل إلى بداوة الخروف والحوز(السباسب الوسطى مثالا)**،منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية ،صفاقس، تونس، 2005، ص 52.

7- التهديدات والتحرشات الخارجية

عرفت السلطنة الحفصية تراجعا أمام الخطر الصليبي ، وبخاصة ف عهد السلطان أبي عبد الله محمد الحفصي ، حيث تعرضت المدن في شمال إفريقيا للاحتلال الاسباني ، ومنها تم احتلال طرابلس سنة (914هـ / 1508م) وبجاية سنة (915هـ /1509 م) [1] وكان الاسبان يهدفون بقيادة شارلكان* الذي كان يعتبر نفسه إمبراطور العالم وخليفة فيليب الثاني إلى تحقيق أطماع توسعية والهيمنة على حوض البحر الأبيض المتوسط لتحقيق التفوق المسيحي الكاثوليكي على الإسلام وتأمين تجارتهم بهدف خنق الاقتصاد الإسلامي.

لم يستطع الحفصيون الصمود أمام الخطر الاسباني** مما استدعى قدوم خير الدين إلى تونس سنة (941هـ / 1535م) بعد حصوله على الإذن من السلطان سليمان القانوني لغزو تونس تحت اسم الرشيد الحفصي ، فوافق السلطان وأمده بأسطول يتكون من مائتين وخمسين سفينة[2].

وأمام تصاعد التنافس الاسباني العثماني أصبحت تونس مقسمة إلى قسمين ، بحيث تشمل المناطق الممتدة ما بين تونس وباجة حكم السلطان الحفصي ، وهذا ما أشار إليه عزيز سامح التر بقوله : " .. ولما جلس مولاي حسن على عرش تونس صادفته مصاعب جمة إذ أن القيروان والبلدان الساحلية لا تعترف به ، وحكمه يسري على الأراضي بين تونس وبنزرت .."[3]، والقسم الثاني خاضع للحكم العثماني بعد أن أرسى خير الدين قواته بميناء بنزرت ، ووجد من سكانها ترحيبا

---

[1] الشابي: **عرفة الشابي** ، ص 109

* ملك إسبانيا تم تعيينه سنة (922هـ / 1516م) أصبح إمبراطور ألمانيا بالوراثة سنة (925هـ / 1519م) كانت رغبته في السيطرة على أوروبا ووجد منافسه من فرانسوا الأول وخاض حروبا ضده وضد العثمانيين ، حيث أراد تحقيق أطماعه التوسعية في العالم الإسلامي ، استقال من الحكم سنة (962هـ / 1555م) للتفاصيل راجع : محمد فريد وجدي ، **دائرة المعارف القرن العشرين** ، ج 5 ، دار الفكر بيروت ، د . ت. ن. ص 387.

** كان تفكك الدولة الحفصية في عهد محمد الحفصي حيث تغلبت الأعراب على جل البلاد حتى وفاته سنة (932هـ / 1526م) ، وقد خلفه ابنه الحسن الحفصي ولم تكن الدولة فيه أحسن حالا من فترة أبيه ، أنظر : ابن أبي دينار ، **المصدر السابق** ، ص 163

[2] محمد العروسي المطوي :**السلطنة الحفصية ،تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي** ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1986،ص 685 .

[3] عبد العزيز سامح التر :**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** ، ترجمت محمود علي عامر ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ط1 ، بيروت ، 1989م ، ص 38 .

في وجود رشيد الحفصي ، مقارنة بتونس التي عرفت أحداثا دامية ابتداء من سنة (936هـ / 1530م)[1]، بعد أن استقل خير الدين بقصبتها ، ووجد مقاومة من السكان ، ويتحدث بن أبي دينار عن الحادثة بالتفصيل بقوله : " وقام ربض باب السويقة على خير الدين ، وكانت بينهم مقتلة عظيمة مات فيها خلق كثير من الفريقين ، وكان محل القتل من باب القصبة إلى باب البنات وحومة العلوج ، ونادى المنادي بالأمان من خير الدين وانكف الفريقان[2] ، وبعد هذه الأحداث انضمت تونس إلى الدولة العثمانية سنة (940هـ / 1534م) وتم الإعلان عن تبعتها للباب العالي[3] بعد مبادرة خير الدين والدعوة باسم السلطان العثماني على منابر بنزرت ، مما يعتبر إلحاقا معنويا للسلطة العثمانية ، ثم انتقل بعدها إلى حلق الوادي وأنزل قواته إلى البر ، وبعدها ضم المنستير وسوسة والمهدية ، أما القيروان لما توجه إليها كانت تحت حكم عرفة الشابي وأقام بها حامية عسكرية سنة (940هـ / 1534م)[4]

ثانيا : مرحلة القوة والنفوذ

إن أهم ما ميز هذه المرحلة هو تأسيس الدولة الشابية بقيادة عرفة الشابي بالقيروان على أنقاض الدولة الحفصية ، خلال الحكم السلطان الحفصي الحسن أبي عبد الله الذي اضطربت أحوال الدولة في عهده[5] ، وكانت أولى بداياتها تتمثل في استقلال عرفة الشابي بالقيروان.

1- نشأة الإمارة الشابية

أعلن الشيخ عرفة الشابي استقلاليته بالقيروان بعد تظافر عوامل متعددة ، ولم تحدد الكتابات والدراسات التاريخ الفعلي لحدوث الانفصال ، وهل كان قبل واقعة الأربعاء (باطن القرن سفر 942هـ / سبتمبر ، أكتوبر 1535م) أو بعدها ، إلا ما تعلق بروايات متناثرة منها

[1] بن أبي الضياف ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 12 .
[2] بن أبي دينار ، **المصدر السابق** ، ص ص 184 ، 185 .
[3] التر ، **المرجع السابق** ، ص 112 .
[4] الشابي ، **عرفة الشابي** ، ص 112 .
[5] الشابي ، **مصادر جديدة لتاريخ الشابية** ، ص 70

ما أشار له سامح التر بقوله : " فقد أعلن أحد علماء القيروان استقلاله وانفصاله عن تونس "[1] وكان تقلد عرفة الشابي حكم الإمارة بالقيروان تحت السلطة الشكلية ليحيى اللمتوني حسب تعبير بن أبي دينار في قوله : " وقام عليه بالقيروان الشيخ عرفة وكان من مرابطي القيروان من ذرية سيدي نعمون وهو الجد الشابيين ، قام على السلطان الحفصي وبايع لرجل من لمتونة اسمه يحيى أوقفه في السلطنة وادعى أنه حفصي جاء من المغرب[2] ويمثل هذا الشكل من البيعة مظهرا من مظاهر البحث عن شرعية حكم الشابية ، وتحقيق الحفاظ على ولاء القبائل ولم تكن لهذا السلطان أي سلطة فقد وصفه ابن أبي دينار : " بأنه اسم لا رسم ، وشيخ عرفة ينفذ الأمور[3]، وكانت السلطات متجمعة في يد الشيخ عرفة الشابي .

ويبدو أن الدولة الصوفية التي أسسها الشابية حاولت صيانة الاستقلال السياسي ، ومواجهة النفوذ الأجنبي في جزء من بلاد إفريقية انطلاقا من مركزها بالقيروان[4] رافعين شعار الجهاد لمواجهة الحضور المسيحي ، كما كان قائدها عرفة الشابي متخوفا من نشاط العثمانيين بالمنطقة وتوسعاتهم ، فكان يحذر أتباعه ويحفزهم على الاستعداد للمواجهة .

وقدمت الطريقة نفسها كبديل لتجاوز الأزمة السياسية التي تمر بها البلاد ، وتحولت من حركة دينية إلى قوة سياسية عسكرية[5].

وتتصف الدولة الشابية بأنها دولة قبلية على النمط التقليدي الوسيط [6] ، معتمدة في ذلك على العديد من الفصائل القبلية التي شكلت الدعامة الأساسية لها رغم نقص المعدات الحربية ، ونجاحها في تجميع القبائل في سلطة واحدة وسيادة واحدة ، فقد لجأ عرفة بعد قيام والده بتهيئة نشاط الطريقة والتفاف عدد معتبر من الأتباع الممثلين في القبائل إلى القضاء على الفواصل بين أهل المدن والأعراب ولم شتاتها ، ودعاهم إلى العلم والجهاد ضد الأطراف الخارجية ، وتأسيس دولة صوفية على أساس

---

[1] سامح التر ، **المرجع السابق**، ص 227

[2] بن أبي دينار ، **المصدر السابق** ، ص 184

[3] **نفسه** ،ص 184

[4] برنشفيك ، **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 367

[5] مونشيكور ، **المصدر السابق** ، ص 200

[6] لطفي عيسى ، **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ** ، سراس للنشر ، تونس ، 1993 ، 38

روابط قومية وهوية ذاتية[1] ولعل الطابع القبلي للدولة هو الذي جعل مونشيكور في موضع آخر يصفها بأنها : " إمارة السباسب التي تضم نقاط استقرار قليلة جدا وعددا كبيرا من الأقوام ، وهذه الدولة عرقية أكثر منها ترابية ، فهي مزيج رخو من قبائل متحركة أكثر منها كتلة من المقاطعات[2]

وهكذا كانت نشأة الدولة الصوفية في القيروان كنتيجة لواقع استثنائي استثمرته الشابية وقيادتها مستفيدة من الفراغ السياسي التي تركته السلطة الحفصية ومعلنة الجهاد ضد الخطر المسيحي المهدد للدولة في إطار منظومة صوفية مبسطة واحتجاجية حركت مشاعر الانتساب إلى عقيدة موحدة[3].

2- القيروان عاصمة الشابية

تخذت الطريقة الشابية القيروان مركزا لها ، حيث مثلت مدينة عقبة بن نافع مجالا خصبا لاستمرارية دورها الروحي ، وظلت عبر الزمن مدينة الأولياء لولائها لدورها الروحاني واتخذها عرفة الشابي في الثلث الأول من القرن السادس عشر مركزا وعاصمة لإشعاع الحركة الصوفية الشابية[4] .

3- مكونات الإمارة الشابية

مثلت الإمارة الشابية وضعا استثنائيا في تاريخ إفريقية بما تميزت به من خصائص جعلها تختلف نوعا ما عن الدول التي عاصرتها ، حيث غلب عليها الطابع القبلي والديني الطرقي ورغم أنها لم ترقى إلى مفهوم الدولة بمؤسساتها إلا أن هناك بعض المميزات والأسس التي قامت عليها ومن أهمها :

3-1- حكومة الشابية ومكوناتها

كان يشرف على الإمارة الشابية الشيخ عرفة الشابي وخليفته من بعده محمد ابن أبي الطيب وكان حاكم الإمارة يجمع بين ألقاب متعددة تحددها طبيعة المهام ، حيث يمثل الإمام والخليفة وشيخ الطريقة ، وحسب مونشيكور فهو يجمع بين القائد السياسي وشيخ الطريقة ، وفي رتبته يشبه رتبة

---

[1] الشابي : **تاريخ الشابية** ، ص 264 .

[2] مونشيكور : **المصدر السابق** ، ص 98.

[3] لطفي عيسى : **أخبار المناقب** ، ص 40.

[4] مونشيكور :**المصدر السابق** ، ص 27.

الحكام المكلفين من طرف الإسبان بتسيير مدن مثل المهدية وجربة[1]* أما كاربخال فلقبه بالملك بقوله : " وتعزز ملكه بمناصرة القبائل له فأصبح يحمل لقب ملك القيروان .. "[2]

وكان الشيخ يستعين بمجلس يعرف بمجلس الحكومة الشابية وهو من أهم مؤسسات الدولة الشابية ، وفي تكوينه يضم مجلس الأعيان وجماعة الكبار مجتمعين حول شيوخ القبائل والقرى وعدد من أقربائه[3] ، وعلى ما يبدو فإن المجلس يجمع مهاما استشارية وتقريرية من أبرزها حل العديد من القضايا وخاصة المالية منها فهو يقوم بدور بيت المال ويدير الأملاك بالنيابة[4] وشؤون أخرى متعلقة بالعائلة والدولة وكذا الطريقة ، ويحضر اللقاءات مع الوفود الأجنبية ويفصل في النزاعات والمعاهدات والسلم والحرب[5].

كما كانت صلاحيات المجلس مرتبطة بسلطة الشيخ المطلقة في التسيير ، وبهذا كانت مهامه تجمع بين السلطة الدينية والزمنية باعتباره شيخ طريقة وملكا يحكم من القيروان قسما هاما من إفريقية ، وفي المدينة يكون حكمه مباشر وغير منقطع[6] ،فالإمارة الشابية جمعت بين المظهر الروحي الصوفي والمظهر السياسي للدولة ، وضمت عناصر متكونة من شيخ الطريقة كقائد ، ومجلس عائلي حكومي لم تتضح مهامه بالتفصيل إضافة إلى الجيش التطوعي المتكون من القبائل الخاضعة لسلطة شيخ القبيلة وشيخ الطريقة .

3-2- مكونات الجيش الشابي

يتكون الجيش الشابي أساسا من القبائل التي كانت تنتمي للطريقة خلال مراحل نشاطها ولكن المعلومات المتوفرة لم تتناول خصائص هذا الجيش التنظيمية سواء تنظيمية أو إمكانياته العددية والعتادية.

---

*تمثل رتبة هؤلاء الحكام رتبة الشيوخ في المناطق الخاضعة لسلطة الشابية ، أي بمعنى حكام الأقاليم التابعة للقيروان أنظر : مونشيكور : **المصدر السابق** ، ص ص 124 _ 127

[2] مارمول : **المصدر السابق** ، ج 3 ، ص 98

[3] مونشيكور :**المصدر السابق** ، ص 128

[4] **نفسه** ، ص 128

[5] الشابي :**أمير القيروان** ، ص 78

[6] مونشيكور : **المصدر** السابق ، ص 124

ويبدو أن الخصوصية الجغرافية المرتبطة بالمجال الذي استقرت به هذه القبائل ، وما تملكه من ثروات مادية قد حدد طبيعة التشكيلة العسكرية التي استندت إليها الطريقة الشابية ، حيث غلب عليها الطابع التقليدي في عملية التجنيد متدعمة بإمدادات مرتبطة بممتلكات القبائل من حبوب ولحوم كمصدر تمويني للدولة والجيش[1]، لهذا لم يكن الجيش يتميز بالطابع التنظيمي بقدر ما كان يغلب عليه التطوع ، وقد حاولت بعض الدراسات أن تصل إلى تشكيلة الجيش وخصوصيته انطلاقا من المعارك التي خاضها فكانت موقعة جمال (تعرف أيضا بموقعة المنستير وقعت في 12 نوفمبر 1540م) مصدر لمونشيكور في معرفة التكوين جيش الشابية فهو حسب وصفه : " يتشكل من طبائع وأصول مختلفة : بدو خاصة الفرسان ، ومن قبائل أهلية منضوية تحت قيادة شيخ القبيلة ومشات من عناصر متعددة منتدبين في الساحل "[2].

أما التجهيزات الحربية فتنفرد رواية علي الشابي حول تفاصيل نوع الأسلحة التي يحوز عليها حيث يشير بأنها متوفرة بالقدر الكافي وأن عرفة الشابي بذل نفقات كثيرة لشراء الأسلحة ودفع مستحقات المجندين المرتزقة ، أما توزيعها فيرتبط بتشكيلة الفرق ، فالعربان كانوا يحملون الدروع والرماح والسيوف المعقوفة والسهام ، أما المترتزقة فيجيدون أسلحة أروبية متطورة ، وتشمل الأسلحة النارية (المدافع والبنادق) إضافة إلى القربينات الحنشية[3].

ويبدو من هذه الرواية أن إمكانيات الجيش الشابية من حيث العدة والعتاد تعتبر ضخمة ، إذا ما أضفنا إليها بعض الروايات التي تشير إلى أن الجيش استخدم المدفعية المضادة للأسوار والقلاع لتسهيل اقتحام المدن الحصينة[4].

ورغم ما قد تحمله بعض الروايات من مبالغة في وصف عتاد الجيش ، إلا أنه لم يكن يتمتع بالتنظيم على غرار الجيوش النظامية ، إضافة إلى نقص الانضباط العسكري الذي يساهم في تحقيق النصر ، وتجسيد مشروع الدولة ، خاصة وأنه يعتمد حرب العصابات أو أسلوب الكر والفر في المواجهة ، كما أن العربان المشكلة للجيش لم تكن تتمتع بالحنكة القتالية التي كانت تمتلكها الجيوش الأخرى ، فهم

1 الشابي :عرفة الشابي ، ص 140.

2 مونشيكور: المصدر السابق ، ص 110.

3 الشابي : عرفة الشابي ، ص 141.

4 بلغيث : **الشيخ محمد بن عمر العدواني** ، ص 109 .

حسب وصف مارمول : " أشبه بالزمايل منهم بالجيوش المنظمة ، تتكاثر فيهم النساء والأطفال والماشية بلا فائدة ، تنقصهم الأسلحة ويهربون عن طواعية عندما تهدأ المعارك أو تشتد ليست لهم أكسية ومرتبات كافية ، فهم لا يصلحون إلا للنهب والهرب ، تبدو عليهم بعض الشجاعة إذا ما هجموا جميعا ، وهم يصيحون لكن سرعان ما يتشتتون تحت وقع المعركة ، فيفر جانب منهم ، فإذا انتهت المعركة انفضوا من حول قائدهم لغير رجعة[1] .

وينفي علي الشابي عن جيش عرفة الشابي مستدلا في ذلك بالرسالة التي وجهها دوتوفار إلى شارل الخامس واصفا جيش عرفة الشابي بقوله : " ولا يرتدون على أعقابهم كلما جد الجد " [2]

ولعل القوة التي تمتع بها الجيش الشابي كانت في عهد عرفة الشابي ، حيث نجح في تموينه والإنفاق بصرف جراية المرتزقة ، وهو ما أهله لأن يحقق انتصارات لمواضع مختلفة كان أهمها الإنزال الاسباني في جربة ، وخوض معركتين حاسمتين في تاريخ الإمارة الشابية هما معركة باطنة القرن في صفر (942هـ / 1535م) وواقعة المنستير في سنة (947هـ / نوفمبر 1540م) .

ثالثاَ: مرحلة الضعف والانحطاط

لم تعمر الإمارة الشابية طويلا بسبب التحديات التي واجهتها، وتأثير عوامل عديدة عجلت بسقوطها والتي نذكر منها:

1) تراجع الدولة الشابية في عهد محمد بن أبي الطيب الشابي وفقدانها لمكانتها، حيث كان ينقص هذا الشيخ مميزات القائد السياسي والعسكري بعد أن أصبح عاجزا عن تجهيز جيش حقيقي[3]، واعتماده على جيش من الأعراب غير المدربين، يقاتلون بأسلحة تقليدية، ويتخذون طابع الزمايل المضطربة بتكوينها والمرتدة على أعقابها حين يشتد القتال ،إضافة إلى نقص الأموال بسبب فقر منطقة السباسب وتراجع نفوذ الشابية جغرافيا[4].

كما أن نقص التشبع بالفكر الديني لشيخ الشابية أبي الطيب، كان له أثر في مواقفه السياسية بمعاداته للأتراك ولجوئه إلى مهادنة الإسبان، مما أفقد الشابية سندها الشعبي المتمثل في القاعدة القبلية

---

1 مارمول : **المصدر السابق** ، ج 2 ، ص 182 .

[2] الشابي :**عرفة الشابي** ، ص 142 .

[3] مونشيكور :**المصدر السابق** ،ص 158.

[4] الشابي:**تاريخ الشابية**، ص346.

،وما ترتب عنه تراجع المصادر المالية وعدم كفاية ماتقدمه القبائل من أموال لتغطية نفقات الجيش[1]،وهذا ماهدد الإمارة بمواجهة مصير محتوم من الأطراف المتربصة بها بعد أن أصبح كيانها السياسي منحصرا في حيز جغرافي ضيق ومعزول[2].

2)الصراع بين أمراء الدولة الحفصية وشيوخ الشابية،بدل تحالفهما لمواجهة الخطر

الأجنبي المتمثل في الإسبان، مما كان له أثر في استنزاف إمكانياتهما وإخفاقاتهما في القيام بدور تحرري[3]،أمام دور عثماني متصاعد لتدعيم نشاطاتها بالمنطقة ومحاولاتهم طرد الإسبان منها، وهذا ما أشار إليه بن أبي دينار في قوله :"ولم يزل (بن أبي الطيب) يحارب السلطان أحمد إلى أخذ القيروان من يده درغوث باشا.."[4].

وهذا ما يطرح التساؤل حول مكانة الشابية ككيان سياسي يتمتع بتواجد حقيقي أم استثنائي، إذا ما أخذنا برأي بعض الباحثين الذي اعتبر بأن نشاط الشابية ودورها السياسي ارتبط بشكل كبير باستغلال ظروف الصراع والتناحر بين الحفصيين والإسبان والأتراك[5].

3) تصاعد العمل العسكري بزعامة درغوث باشا، وحصوله على إمدادات من طرف الدولة العثمانية بعد دخوله في ولاء تام للسلطان العثماني ،إضافة إلى الدعم الذي أظهره له السكان بعد أن وجدوا فيه المنقذ والمخلص لهم من التواجد الإسباني المسيحي، وهذا ماسهل عليه تحقيق انتصارات حاسمة أمام إمكانيات محدودة للشابية[6]، وإخفاق جيش الشابية أمام القوة التركية التي لم تراعي الإعتبار الديني لها ،إضافة إلى اختلاف الإمكانيات بين الطرفين ،حيث أن هناك من يرجع فشل الدولة الشابية أمام القوة التركية إلى اعتماد العثمانيين على قادة من النصارى حديثي عهد بالإسلام، فدرغوث باشا يوناني من آسيا الصغرى، وعلج علي من كلابري ،في حين كان الشابيون عربا معزولين

---

[1] الشابي: **أمير القيروان** ، ص78.

[2] دلبد الأرقش وآخرون:**المغرب العربي الحديث من خلال المصادر** ،مركز النشر الجامعي ،مدياكوم ،تونس،2003، ص53.

[3] أحمد قاسم: **وثائق عثمانية تهتم بوضع تونس في أواخر القرن السادس عشر**، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات العثمانية ،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات بزغوان، تونس ،فيفري1992،ص354.

[4] بن أبي دينار:**المصدر السابق** ،ص152.

[5] محمد الهادي الشريف:**تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الإستقلال** ،تعريب محمد الشاوش ،محمد العجينة ،دار سراس للنشر ،ط3،تونس،1963،ص65.

[6] لطفي عيسى:**أخبار المناقب** ،ص40.

عن أوروبا وغير قادرين على المحافظة وتطوير إمارتهم ،بعد فشلهم في الإستفادة من التطور الحاصل في التقنيات الحربية، وقد وصف مونشيكور نقص الخبرة وعدم استفادة الشابية من التجارب بقوله :"..من أن البدو المتصوفين الذين لا يستلهمون عصارة تواجدهم إلا من صلب القبائل المتقلبة والساذجة"[1].

4) اعتماد الشابية على مجال جغرافي ضيق والمتمثل في مدينة واحدة هي القيروان ،وهذا ما مثل نقطة ضعف بارزة ،أمام غياب مراكز متعددة لها تسهل عملية تنظيم صفوفها وتكون ظهيرا لها وقاعدة خلفية لها في فترات السلم أو الحرب ،وخاصة المدن الساحلية لأهميتها الاستراتيجية ،فبسقوط القيروان وجدت قيادة الشابية الممثلة في محمد بن أبي الطيب الشابي نفسها تائهة في اختيار الوجهة[2]، إضافة إلى غياب التنسيق بين المدينة العاصمة والأتباع المتفرقين في مناطق مختلفة، وهذا ما أثر على التواصل وجعل عاصمتهم القيروان تواجه مصيرها بمفردها.

5) التباين المطروح بين المجتمع الحضري والمجتمع القبلي (الأعراب) وما نتج عنه من صراع ومواقف مختلفة، فالسلطة الحفصية والنخبة كانت تعتبر الأعراب عنصرا هامشيا في مقابل سكان المدن أهل الشرع*، وما نتج عنه من نفور المجتمع المديني وعلمائه بالقيروان من الشابية المستندة إلى قاعدة قبلية غير متماسكة، والتصعيد الذي قام به العلماء معتبرين في نظرهم طريقة مارقة وخارجة عن تعاليم الإسلام.

---

[1] مونشيكور: **المصدر السابق** ،ص167.

[2] الشابي: **تاريخ الشابية** ،ص350.

* يرى علي الشابي، بأن هذه التفرقة هي التي جعلت الأعراب يلجؤون إلى العنف والحرابة واكتساح المدن ومقاومة بني حفص ،أنظر :الشابي ،**تاريخ الشابية** ،ص264.

خلاصة

عرفت تونس خلال الفتر الحديثة انتشارا واسعا للطرق الصوفية ، واستطاعت ان تستقطب اليها شريحة واسعة من المجتمع سوآءا في الارياف او في المدن ، وقد ازداد التوسع و الانتشار مع فترات الضعف التي عرفتها تونس خلال هاته الفترة الهامة من تاريخها وخصوصا مع بداية القرن العاشر الهجري (السادس عشر ميلادي) و التي تجلت في تكالب و تحرشات الدول الاوروبية ، و التي استمرت الى غاية ظهور الاتراك ووضع حد لهده التحرشات وضم تونس الى الدولة العثمانية.

وخلال هذه الفترة العصيبة لعبت الزوايا و الطرق الصوفية دورا كبيرا في الدفاع عن البلاد و حمايتها من خلال الحضور القوي في شتى المجالات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية ، وقد ازداد نفودها في العهد العثماني.

ولعل اهم هذه الطرق التي عرفتها البلاد التونسية[1] هي الطريقة الشابية و هي جزء من ظاهرة التصوف الاسلامي التي عرفتها المنطقة في تلك الفترة.

وقد فرضت هذه الطريقة وجودها على الساحة السياسية بعد أن أسست كيانها الخاص المتمثل في الإمارة الشابية وطموحها لإقامة دولة على النمط الدولة الإسلامية في العصر الوسيط إلا أنها لم تعمر طويلا بسبب ما عانته من التدخلات الخارجية والثورات الداخلية ،وكثرة المنافسين لها ،وهذا ما أدى إلى زوالها كدولة وبقائها كحركة دينية وامتدادها خارج حدودها.

[1] انظر الملحق رقم 01، خريطة البلاد التنوسية.

الفصل الثالث: علاقة الطريقة الشابية بالدولة العثمانية وامتدادها الخارجي

المبحث الاول: علاقتها بالدولة العثمانية.

المبحث الثاني: جذور الشابية في الحرب الأهلية التونسية الأولى وعلاقتها مع الجوار.

تمهيد:

عشية إنهيار الإمارة الشابية سنة (964هـ/1557م) وترسيم الحكم العثماني في تونس هاجر أتباع الشابية إلى مناطق متعددة من ايالتي تونس والجزائر بحثا عن مكان مناسبا لإستعادة قوتهم واستئناف محاولتهم لإعادة مجد الطريقة، وأمام هذا المصير أصبح شيوخ الشابية أمام إشكالية التعايش مع التواجد العثماني او مواجهته؟

المبحث الأول :علاقتها بالدولة العثمانية

اولا:التمركز العثماني وأزمة الشابية

إن عملية البحث عن مكان مناسب واستجماع للقوى من طرف الشابية، كان من الأمور الصعبة نتيجة التراجع الذي عرفته بعد فقدانها لنفودها ،وتفرق عدد كبير من الأتباع بانضمام بعضهم للعثمانيين، والبعض الآخر ساند السلطان الحفصي مولاي محمد صهر أبي الطيب[1].

ولعل الحديث عن حراك الشابية بعد سقوط إمارتهم وخروجهم من القيروان يطرح العديد من التساؤلات حول حجم إمكانيتهم وانتقال مشيخة الطريقة ،وهل تمتلك من القوة ما يساعدها على بعث دولتها ومجدها من جديد فعلى ما يبدو فإن هناك اتفاق حول انتقال مشيخة الطريقة إلى محمد الزفزاف بن عرفة الشابي[2](985هـ/1577م)بعد بن ابي الطيب سنة(967هـ/1560)،حيث يشير إلى ذلك مونشيكور بقوله:"خلف محمد بن أبي الطيب على رأس الشابية ابن عمّه محمّد الزفاف ابن عرفة ،الموقّر لدى النصارى ،والذي يرافقه دون رواتب عدد لايحصى من الرجال"[3].

ويبدو ان محمد الرفراف قد ورث القيادة في ظروف صعبة،أمام فقدان الشابية لدولتها وتعرض أتباعها للمطاردة من طرف الأتراك ،فكان لزاما عليه مواجهة هذه التحديات والإنتقال في رحلة بحث عن مكان آمن .فقصد مع أتباعه الجنوب التونسي منتقلين بين قفصة وتوزر بعد مواجهة الأتراك وحلفائهم بالمنطقة، وخاضوا معارك ضدّهم منها معركة ضدّ جماعة أحمد سلطان بقفصة ،والمتحالفة مع الحامية التركية ببسكرة ،وانتصرو عليهم (968هـ/1560م)حيث إستطاع أن يسيطر عليها دون عناء ،بعد أن اضطرت الحامية المشكّلة من المشاة والفرسان إلى إخلاء المكان والفرار،ومن ثمّ أصبحت عاصمة الشابية متفرقة بين توزر وقفصة كبديل للقيروان كما كانت لأحمد سلطان محاولات لاسترجاع هذه المدن غير أنه واجه قوات الزفزاف التي وقفت أمام تحقيق مشروعه بعد تحالف القبائل من الهرامسة وأولاد سيدي سعيد والعجالنة مع الشابية[4].

---

[1] يوسف بن حيدة :**التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية**"الطريقة الشابية نموذجا ص141.

[2] نفسه ،ص 173 .

[3] شارل مونشيكور: القيروان والشابية ،ص173.

[4] يوسف بن حيدة: المرجع السابق، ص ص(141-142).

ويبدو أنّ النجاح الذي حققه محمد الزفزاف ومن تبعه في ضم كل من قفصة وتوزر أخد شكلا من التضخيم والبعد الكرامي من أتباع الشابية بتوزر حيث تذكر الرواية أنه بعد فترة قضاها الزفزاف وأتباعه على مسافة من مدينة قفصة أعلن لهم وفاة القايد التركي المدعو(معفون غير مختون) ،فحدث ذلك حسب الرواية ، ومثّل هذا كرامة بعد لعنات محمد الزفزاف ضدّه ،وقبره معروف الى اليوم الحالي بقبر المعفون[1].

ورغم ماتحمله الرواية من طابع أسطوري مرتبط بمكانة الزفزاف كولي ،ألا أنّ الواقع الذي فرض على الطريقة ومواجهاتها للأتراك إضافة إلى الخصوصية الجغرافية ذات الطابع الصحراوي لكل من قفصة وتوزر،جعلا الزفزاف وخليفته محمد بنور يبحثون عن مكان مناسب وحصين لتفادي خطر الأتراك ،وهذا ما تؤكده رواية الشابي عن محمد الزفزاف بقوله: "وكان لايُخفي خشيته على الشابية من الأتراك وهفا في زيارته إلى تيزقرارين[2] أن تكون القلعة الموجودة بها مقرا لأولاده لأنها حسب تعبيره:"ماتمنع من الترك إلا هي، فقالوا له ياسيدي: نحن أولادك فقال لهم الكبير أخي والصغير ولدي ، لكن أردتها أن تكون لأولاد صلبي ،فقالوا له ياسيدي ماؤها بعيد ،فأجابهم يسقون من تلك الجرعة[3].

ويشكل هذا المشروع استرتيجية ثورية ودعوية لتحقيق انتشار واسع للشابية في مختلف المناطق أو الحفاظ على استمراريتها أمام التهديد العثماني مع سهولة التنقل بين مراكز الطريقة ،وهذا ما نجده في بعض التعابير بأن محمد الزفزاف كان يدير الطريقة من مقرّه في قفصة ويتجول في الأوراس وواد بجر حيث يوجد مريدوه كما أرسل من ناحية أخرى لدى الجبلين أولاد صالح ابنه بدر الدين إلى أرقو .

ومع صوبة الوضع والتحديات التي أصبحت تواجهها الشابية فإنّ محمد الزفزاف أصبح يدرك صعوبة تحقيق حلمه في استعادة القيروان أثناء تنقلاته بالجنوب الغربي التونسي والجزء الجنوبي الجزائري

[1] نفسه ،ص173،نقلا عن رسالة ملك تونس إلى القائد التركي بتاريخ25فيفري1560 ،وقعت بين أيدي ألونزو دي لا كويفا (أرشيف سيمانكس ،حكومي ،حزمة485) .

[2] انظر الملحق رقم 05 ، صورة لقلعة تيزقرارين جبل ششار خنشلة.

[3] مونشيكور :المصدر السابق ، ص 353.

ونتوجه الى بلادنا القيروان ، فقال لي: يا بنور، فقلت :نعم قال: أبعت المكاحل إلى بلاد دريد (السرس) اتركها هناك فإنك تصيبها ،فقلت له نتسلح بها إلى بلادنا لعل اللّه يسهل لنا فيها وحين نرجع نرسلها ،فقال لي بلادكم(القيروان ما تصيبونها ، وأنا إنما أفعل لعلي أموت بقربها ،لأدفن فيها عند والدي" .

يبدوا من الرواية أن محمد الزفزاف كان واقعيا في تفكيره أمام ما عرفته المنطقة من تحولات ،وإدراكا منه للقوة التي يتمتع بها الأتراك، إضافة إلى التراجع الذي عرفته الشابية وصعوبة استعادة قوتها بعد الهزائم المتتالية التي منابها ،وأمام تراجع عدد أتباعها وهذا لا يختلف مع رغبة الشيخ الزفزاف في أمله المستقبلي بأن يدفن بالقيروان بقرب والده عرف[1]ة، وهو ما تتداوله الرّواية السائدة لدى شابية توزر بأنّ الزفزاف توفي وهو في طريقه إلى القروان ،في المكان المسمى الزباس (إقليم الهمامة) حوالي (985هـ/1577م). ومن هناك حُمل جثمانه إلى القيروان ،ودفن بجانب والده عرفة الشابي.[2]

ونظرا للتحديات التي كانت تواجه الشابية والتغييرات في قيادتها فإن غياب التنسيق بين بعض مشايخها مثل ما حدث بين محمد بن الزفزاف ومحمد بن أبي الطيب ،قد فتح المجال أمام الاستقلالية في التسيير و الانفراد في أتخاد القرارات ،مما أثر على تلاحم الطريقة وتماسكها وعرضها للانقسام والهزائم المتتالية من طرف الأتراك.

1- سنان باشا*و الشابية[3]:

يرجع الاستقرار الفعلي للعثمانيين إلى القائد سنا باشا الذي يعتبر على حسب بعض الروايات منقد البلاد التونسية ،فقد حسم معركته ضد الإسبان في حملته سنة(981هـ/1573م)،والتي كان من نتائجها انضمام تونس للدولة العثمانية بداية من سنة(982هـ/1574م)،واصبحت مرتبطة بالباب العالي بإسطنبول وتخضع لباشا تعزّزه حامية عسكرية من الانكشارية ويسيّر إدارة جديدة عثمانية[4].

[1] انظر الملحق رقم 04، مقام الشيخ عرفة بمقبرة الجناح الاخضر بالقيروان ...

[2] يوسف بن حيدة :المصدر السابق، ص ص(142-144).

*كان من القياد العظام وكبار وزراء الدولة العثمانية وله آثار عظيمة بكثير من المدن التونسية توفي سنة(1004هـ/1596م) ،ابن ابي دينار ،المصدر السابق ،ج1،ص23.

[3] عرفة الشابي ،ص 44.

[4] مونشيكور :المصدر السايق، ص ص(177-178).

كما حصل الباشا على تفويض مطلق في البلاد يسمح له بتسيير شؤون الإيالة وفق ماجرت عليه الإدارة العثمانية مع ولايتها البعيدة واستعان سنان باشا في إدارة سلطته بحيدر باشا الذي عيّنه عاملا على القيروان.

وفي هذه الفترة كانت الشابية قد اتخذت من قفصة وتوزر وصولا إلى قلعة تيوقارين مستقرّا لها بعد خروج شيوخها وأتباعها من القيروان مرتبطين بعداوة اتجاه الوجود العثماني الذي تسبب في إسقاط دولتهم ،باستثناء بعض ال تقارب الذي حدث في فترات مختلفة منها الاستقبال الذي حظي به رمضان باشا وجنوده من طرف القبائل الحليفة للشابية أثناء رجوعهم للقيروان وبعد الانتصارات التي حققوها ضد الإسبان إضافة إلى التحالف الظرفي الذي حدث بين الشابية وسنان باشا المتمثل في مساعدة عبد الصمد الشابي* له سنة(981هـ/1574م) أثناء محاصرته للإسبان في حصن حلق الوادي[1].

وأثناء هذا الحصار قام الجنود العثمانيون بإلقاء حوالي سبعين ألف قنطار من الصوف كل قنطار منها وضع فيها قنطاران من الرصاص ليثقل به ويغوص في ماء الخندق الذي يفصل بين المسلمين وحصن العدوّ لاجتيازه ،وحين تمّ لهم ألقوا فوقه الحطب والخشب والتراب إلى أن امتلأ الخندق وانطلقوا إلى الحصن فألحقوا بالعدو هزيمة نكراء.

وقد أشار ابن أبي دينار لهذه الواقعة بنوع من التحفظ والشّك في مشاركة عبد الصمد الشّابي وقبيلة دريد المتحالفة معه بقوله :" وأخبرت من أهل تونس أنّ الصّوف الذي ألقوه من نجع دريد أكثره ومن غيره أقلّه ،وأظنّ أنّ الشيخ عبد الصمد ممن حظر الخطرة[2]،كما أكد على الشابي على حقيقة استناد إلى ما ذكر صاحب الأنوار السنية بأن مساهمة عبد الصمد الشابي في هذه الواقعة كانت فعلية وهو الذي أشار على سنان باشا بإقامة جسر من الصوف حتى يتمكن من التغلب على العدو وبعد موافقة سنان باشا استعان بقواته من قبائل دريد لجلب الصّوف.

* هو عبد الصمد بن محمد بنور بن عبد اللطيف بن أبي الكرم بن أحمد بن مخلوف الشابي ،وحسب القرائن يكون ميلاده حوالي(1557/964)،أنظر :الشابي ،العلاقات بين الشابية والأتراك ،ص69.

[1] يوسف بن حيدة :المصدر السابق ص ص(144 -145).

[2] الشابي :العلاقة بين الشابية والاتراك ص ص(69-70).

وبناءا على هذه الرواية التي تؤكد مشاركة عبد الصمد الشابي في حصار حلق الوادي فقد تكون لها أهداف معينة ،تتعلق بمواجهة الخطر الإسباني وإنقاد البلاد من الخطر المسيحي ،كما أنّ هذا النوع من التقارب حدث سابقا بين عرفة الشابي وخير الدين،إضافة إلى ارتباط المشروع الشابي برغبة عبد الصمد الشابي في توسيع مجال نفوده بمعيّة القبائل المتحالفة معه جهة الشرق من وادي بومرزوق بعدما سيطروا على المراعي ،ورغم ذلك فلم يستفد عبد الصمد الشابي من المساعدة التي قدمها للجيش العثماني ،حيث كان يرغب في السيطرة على المنطقة التي باشر بها نشاطه.

ويحاول على الشابي إيجاد تفسير لطبيعة التحالف فيخلص إلى أنّ عبد الصمد الشابي لما تأكد من رغبة الإسبان في تكوين ملكة لهم في تونس أرجأ حقده على الأتراك العثمانيين وتناسى هزيمة القيروان سنة(965هـ/1557م)، وانضمّ إلى سنان باشا في الحرب لتحرير البلاد ،وساهم مساهمة فعالة بجيشه من الأعراب وبالإمكانيات الكبيرة التي وفّرها وبحسن التخطيط[1].

ولكن هذا التحالف الظرفي لم يستمر لفترة طويلة ولم يثمر بعد فشل عبد الصمد الشابي في تحقيق أهدافه بالحصول على المناطق التي كان يرغب في الاحتفاظ بها ،إذ سرعان ما عاد الصراع إلى الواجهة نظرا للعلاقة العدائية السابقة وتصادم مصالح الطرفين ،وتجدد المواجهة التي كان الشّابية يسعون من خلالها لاستعادة مجدهم المندثر[2].

وابتدأت الحرب ما بين(965هـ/1557م) الى(1088هـ/1677م)في مناطق متنوعة من الجزائر وتونس وربّما عرفت فترات تقارب حيث لا ندري إن كان الشّابية استطاعوا في فترات لاحقة لاستعادة القيروان ففي رواية مفادها أنّ القيروان سنة(994هـ/1586م)كانت تحت حكم عبد الصمد الشابي وسلّم قلعتها وما يملك منها إلى بايلرباي تونس ،بعد حرب طويلة استمر أتباع الشّابية وقادتهم

يواجهون العثمانيين تارة ويعتصمون متخفين بمواطن القبائل المناصرة لهم تارة أخرى*.

---

[1] يوسف بن حيدة: المصدر السابق ص ص (146-148،161-162).

[2] الشابي: **العلاقات بين الشابية والأتراك** ص ص(70-72).

* هذه الرواية انفرد بها بيات فهي تحتاج إلى تدقيق خاصة وأنّ الشابية بعد سنة 1557 لم تتعرض الروايات إلى عودتهم للقيروان بل هاجروا إلى الجنوب التونسي ،عن الرواية راجع :فاضل بيات،**الدولة العثمانية في المجال العربي** :دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية (مطلع العهد العثماني- أواخر القرن التاسع عشر)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،بيروت، 2007 ص582 .

2- علاقة الشابية بالبايات المراديين

تمزت العلاقة الشابية المرادية بصراع مستمر في أغلب الفترات مع تقارب في أواخر عهدهم وقد تحكّم في هذه الغلاقة الصراع حول مناطق النفود و الاستفادة من الامتيازات التي تتميز بها الأقاليم وتوظيف العنصر البشري المتمثل في القبائل المتمركزة والمسيطرة على جلّ البلاد كقبيلة الحنانشة وأولاد بليل وأولا أبي سالم شنوف وأولاد سعيد.

3- حروب الشابية مع مراد باي*(1022هـ/1613-1025هـ/1616م):

قامت سياسة مراد باي مند توليه الحكم على مواجهة القبائل الثّائرة التي كانت تشكّل خطرا على سلطته ،كما تمّ في عهده ضبط الحدود بين تونس والجزائر في المعاهدة الأولى سنة (1023هـ/1614م) والتي نتائجها تأمين النفود والمجال الجغرافي الذي يمثل امتداد بمجال سيادنه على المدى الطويل[1].

وكان هدف الباي القضاء على الاحتكارات الضريبية التي كانت تتعاطى استخلاصها العديد من القبائل والزوايا فواجه هذه الأطراف للحد من امتيازاتها وتدعيم مؤسسة الباي بإنشاء (بيت خزندار) لتدعيم سلطته المالية.

ويبدوا أنّ النشاط المكثّف للقبائل ودعمها للشابية في فترات معينة كان له أثر في توتر علاقتها بسلطة البايات ومن بين هذه القبائل قبيلة طرود التي بمعارضتها للسلطة وتحالفهما مع الشابية أصبحت مستهدفة من طرف البايات فقد حاول الباي مراد أن يستعين بمن لهم نفود عليهم كي يساهم في التقليل من خطرهم ،فاتّصل بعبد الصمد الشابي لوضع حد لنشاط القبيلة المعارضة إلا أنّ هذا الأخير رفض طلب الباي رغم التوتر الذي كان يشوب علاقته بقبيلة طرود[2].

[1] يوسف بن حيدة: مرجع سبق ذكره ،ص ص(162-164).

[2] الشابي:**العلاقات بين الشابية والأتراك**،ص77.

ولعل العداء التاريخي الذي ميّز علاقة الشابية بالأتراك قد فرض على عبد الصمد الشابي عدم التدخل إلى جانب مراد باي* ،ربما إدراكا منه على أنّ الانسياق وراء طلب الباي قد يكون له تأثير على إمكانية استعادة القبيلة إلى جانب الشابية ،إضافة إلى ذلك فقد يمثل ذلك تفريطاً في ملكه وتخلّ عن مشروعه في استعادة مجد الدولة الشابية أو عدم ثقته في إمكانية الاستفادة من الامتيازات التي وعدها به العثمانيون.

وكان التوتر هو السمة البارزة لعلاقة عبد الصمد الشابي بالباي ،حيث تحين هذا الأخير فرصة مناسبة لمهاجمة الشابية واتّجه الى مركز الشابيّة بعين شيرو بالقرب من تبسة بين التل والصحراء في جيش يضم حوالي ألفين فارس حسب رواية العدواني الذي يقول :"ركب صاحب تونس في ألفين من الخيل وقصد الشابي وكان نازلا في موضع يقال له عين شبرو وأثناء سيره سألو صيادا من قبيلة الحنانشة عن مكان تواجد قوات الشابية ،فذكر لهم بأنّهم انتقلوا من "عين شيرو" إلى "واد رومل" قرب قسنطينة.

وقد اهتدى هذا الحنّاشي إلى حيلة حتى لا يباغت الباي عبد الصمد وقبيلته الحنانشة فعرض على قوات الباي الإلتحاق بمكان تواجد الشابية وموافاتهم بأخبار حولهم ووافقوه على الفكرة ولما وصل الحناشي إلى معسكر عبد الصمد أعلمه بوجود قوات الباي والإستعداد لمواجهتها[1].

ويبدوا أنّ هذه الخدعة التي اهتدى إليها الحناشي ساهمت في انتصار قوات الشابية على جيوش مراد باي فقد سارع عبد الصمد إلى تجميع قواته و الاتجاه بها إلى الجبل ،وهذا مايورده العدواني بقوله:"فقام الشّابي وحمل جميع ما عنده على ظهور الإبل وأوصى خدامه :"انطلقوا بهم إلى الجبل،فانطاقوا نحو الجبل وأذا بالخيل أطلقت عنانها كأنها عنان واحد قاصدين الشّابي،وتقابل الجيشان في معركة دامت حوالي أربع ساعات،تراجعت فيها عناصر الجيش التركي بعد أن قتل منهم الشابي حوالي 150فارسا،واستولوا على خيولهم ودروعهم وطاردوا المتبقين إلى مشارف باجة.

*يعتبر المؤسس الفعلي للدولة المرادية،ويعرف أيضا بمراد الأول تولى الحكم مابين (1022هـ/1613م)إلى وفاته سنة(1041هـ/1631) منحه الباب العالي لقب الباشا قبل وفاته سنة(1041هـ/1631م) ،وكان يسيّر حكمه بمساعدة رجب ،وكانت له صراعات مع القبائل مات في سنته ،ودفن بجوار الشيخ أحمد بن عروس ،للتفاصيل راجع عنه :ابن أبي دينار،**المؤنس في أخبار افريقية وتونس** ،ص ص (252-254)،مقديش ،**المصدر السابق** ،ج2،ص98 .

[1]- يوسف بن حيدة المصدر السابق ص ص170-171 .

وعن هذه المعركة ذكر العدواني بأنّ باي تونس تأثر لهزيمة قواته،وعاتب قادة جيشه وصرخ فيهم بقوله:"الذين يشربون لبان البقر يغلبونكم،قالوا له أمرُ اللّه غالبا"،وتدل هذه العبارة على احتقار الباي لقوات الشابية وما يميّزها من طابع بدوي وهو امتداد للإمارة الشابيّة البدوية[1] .

ثانيا: علاقة الشابية بحمودة باشا المرادي

يعتبر حمودة باشا المرادي*المهد الفعلي للأيالة التونسية(1040هـ/1631م)،بما قام بهمن تجسيد لمشروعه القائم على ضبط المجال ،وتأسيس دولة تستند إلى سلطة مركزية وتتمتع بسيادة تامة على أقاليمها بالحد من نفود الشابية القبائل.

1- مواجهة حمودة باشا للشابية والقبائل

اتبّع حمودة باشا سياسة تقوم على تحييز المجال ووضع حد لسلطة القبيلة والطريقة ،فحاول معاقبة القبائل المناوئة التي تتمتع بنفود كبير في أقاليم معينة وتُدعم الحركة الاحتجاجية للطريقة الشابيّة وخاصة القبائل المحاربة مثل قبيلة بني شنوف من الناحية الغربية ،وقبيلة أولاد سعيد المتمركزة في الجنوب الشرقي منتهجا ضدها أسلوب القوة العسكرية والاقتصادية وقاد حملة ضدها استمرارا لسياسة والده وفرض عليها حصارا امتد سبع سنوات ما بين(1628إلى1634)،رغم أن القبيلة كانت قد شاركت إلى جانب مراد باي في حربه ضدّ عبد الصمد شابي.

ومع أنّ السلطة العثمانية كانت تسعى للحدّ من نشاط القبيلة المتصاعد إلاّ أنّ هناك من يرجع هذا الحصار إلى دوافع شخصية لحمودة باشا حيث ارتبط بنشأة الباي داخل أسرة دباب أصلية الجنوب التونسي والسّعي لرفع من مكانتها ونفودها أمام القبائل الأخرى وأمام رفض قبيلة أولاد سعيد الإنصياع أقدام الباي على قطع نخليها حتى تستسلم مستعينا في ذلك بالقبائل المعادية لها مثل الحنانشة[2].

---

[1] الشابي :العلاقات بين الشابية والأتراك،ص82.

*تولى منصب الباي بعد وفاة والده سنة (1040 هـ/1631)بمباركة يوسف باي ،ولما مات يوسف باي استقل بالحكم ،كانت له حروب مع القبائل ،استمر في منصبه حتى وفاته سنة (1076هـ/1666م)للتفاصيل أنظر عنه :بن أبي دينار، **المصدر السابق** ،ص232،مقديش ،**المصدر السابق**، ج2 ،ص ص(99-100).

[2] يوسف بن حيدة: **المصدر السابق**، ص ص(171-172).

كما استطاع أن يدعم علاقته بقبيلة طرود وكان البايات يقصّون عليهم ما وقع بين العثمانيين وعرفة الشابي بالقيروان ويقومون بتحريض القبيلة كي تستميل دريد إليهم حتى صار رؤساؤهم يتلقون التكريم والهدايا العظيمة وأخد الباي منهم العهد على نصرته في مواجهة الشّابي .

وكانت خسائر هذه المعركة كبيرة من الجانين وحسب التقديرات فقد قتل نحو مئة من سوف واستأنفت حرب ثانية بين الطرفين في نفس السنة بالشمال الغربي التونسي انتصر فيها حمودة باشا، على قوات الشابي وأوقع بهم خسائر كبيرة وجرّدهم من أنصارهم فقد عُرف هذا العام بين سكان سوف بعام المجزرة لكثرة القتل وبعام الطّمع بسبب انضمام القبائل لحمودة باشا رغبة في الغنائم وتخلّوا عن الشابية لعدم وفائها بمطالبهم بإعانة في تفس السنة بنحو ألف رجل في معركة انتصر فيها حمودة باشا على جيش الشابية.

وكان التنافس على أشدّه بين الطريقة الشابية والأتراك حول استقطاب القبائل فحاول علي الشابي[1] (ت1047هـ/1637م)* بعد خلافة والده غبد الصمد المحافضة على ولاء القبائل المساندة واستقطاب القبائل المعارضة لمواصلة الثورة ضد العثمانيين فاستعاد قبيلة دريد بعد حروجها على والده وخاض حروبا ضد قبيلة الحنانشة المنفصلة عن الشابية.[2]

لكن علي الشابي فشل في تحقيق انتصارات على حمودة باشا الذي نجح بدوره في تجريده من القبائل الحليفة وكان للكتابات نصيب في هذا الجانب ومنها ما عبّر عنه بن أبي الضياف بقوله:"...وأوقع بالشيخ علي بن عبد الصمد الشابي وطرده وانتزع دريد من يده ورسم طائفة عظيمة منهم في ديوان الجند ،وهم المزارقية لوقتنا هذا".

ويبدوا أنّ طبيعة الصراع بين حمودة باشا والشابية تحكمت فيه المصلحة الاقتصادية ،وخاصة جمع الضرائب من منطقة الجريد التي كانت من نصيب الشابية وحسب رواية العدواني فإن :"زمام الجند كان بيد الشابي ولا يقع خلاص شيء إلا على يديه" حيث كانوا يجمعون تمر الجريد في شكل ضرائب إضافة إلى النقود وقد طلب حمودة باشا من من سكان الجريد الخراج في شكل نصف غلّة

[1] المرزوقي: **المخزن ومخزنة القبائل التونسية**،ص626.

*لقب بأبي زغاية لم تتناوله الروايات والأدبيات بالتفصيل،كانت له حروب مع مراد باي وحمودة باشا،الشابي،**تاريخ الشابية** ،ص374.

[2] الشابي،**العلاقات بين الشابية والأتراك**،ص82.

التمر ونقود والنصف الآخر يكون من نصيب[1] الشابية وأمام رفض هذه الأخيرة لهذا الاقتراح قامت معارك بين الطرفين قتل فيها بعض زعماء الشابية مثل أحمد الشابي والطيب الهمام ونجح الباشا في استخلاص الضرائب من الجريد ودخول القبائل في طاعته أمام تراجع النفود الشابي.

ويبدو أنّ سياسة حمودة باشا المرادي عرفت نجاحا باستقطابه للقبائل المناهضة له بالوسائل السليمة مع التمسّك العسكري عند الاقتضاء وجرّد الشابيّة من حلفائها مثل الحنانشة التي أصبحت تشكل قبيلة مخزنية ببجاية قبيلة دريد والقضاء على تمرّد قبيلة أولاد سعيد وطرود وقد أسفرت هذه الطريقة على تدعيم علاقات السلطة .

2- بوزيان الشابي وحمودة باشا

تولى بوزيان الشابي*مشيخة الطريقة بعد وفاة والده علي الشابي سنة(1047هـ/1637م)،وعرف عهده تراجعا للطريقة الشابية بعد فقدانها لحلفائها من القبائل ،وهذا ما عبّر عنه بن أبي دينار بقوله: "وفي أيام أبي زيان خرجت أكثر رعاياه عن طاعته ودخلوا في طاعة الترك.[2]

وانتقلت مساندة القبائل إلى حمودة باشا الذي نجح في القضاء على الحركة الاحتجاجية للطريقة ومن بين القبائل التي تخلّت عن الشابي قبيلة دريد التي انضّمت للعثمانيين بعد أن نجح حمودة باشا في استمالتهم وقلّدهم وظائف في ديوان الجند وانخرطوا بشكل رسمي في خدمة الدولة العثمانية مقابل رواتب نقدية وعينية يتقاضونها مشكلين ما يُعرف بالزمالة على حد تعبير فتحي المرزوقي[3].

وفي المقابل فقد بويان الشابي حليفا هاما بعد خلاف مع قبيلة طرود رغم محاولته إعادتها إليه بعد أن أرسل ورائهم بعضا من رواده لمعرفة أخبارهم ،وطلب منهم إعانته بعدد من الفرسان لمواجهة حمودة

---

[1] يوسف بن حيدة: **المصدر السابق** ص ص(172-174)

* هو ابن علي بن عبد الصمد بن محمد بن بنور بن أحمد بن مخلوف الشابي ،لم ترد ترجمته بالتفصيل ماعدا حروبه التي ذكرها العدواني ضد حمودة باشا ،كانت وفات سنة(1074هـ/1664م) ،الشابي، مصادر جديدة لتاريخ الشابية،ص80.

[2] المرزوقي،**المخزن وخزنة القبائل ال**تونسية ص626-696

[3] -الشابي **مصادر جديدة لتاريخ الشابية** ص80

باشا فامتنعوا وحاول هذا الأخير استغلال الخلاف بين طرود وبزيان الشابي فكتب إليه يطلب منه الانتقام من طرود فأجابه: "بمنأى عن حمايتك فإنّي أعلمك لو هاجمك النّصارى لانضممت لهم"[1].

ويبدوا أنّ فقدان الشّابية لحلفائها من القبائل قد أثر على صمودها واستمرارية مواجهتها للأتراك ورغم ذلك فقد واصل الشيخ بوزيان الشابي محاولاته لاستعادة بعض القبائل ومنها قبيلة دريد التي قاد معركة ضدها فانتصر عليها سنة(1654هـ/1654م) في عين حجر قرب تمغرة ونجح في ضمّها من جديد.

كما دارت بين حمودة باشا المرادي والشّابية بزعامة بوزيان الشابي معارك شديدة ،في عبيدة قرب الدهماني وفي السلوقية ووادي صراط قرب جريصة ،وكانت بدايتها بعد مقتل والده على الشابي من طرف صاحب إفريقية فأعدّ بوزيان الشابي اثنا عشر ألفا من الجنود متجها إلى بلد الخلة بالقرب من تبسة فأغار عليها واستولى على ثلاثمائة ناقة وعبدا وثلاثون بقرة وشيء من الأسلاب[2].

وبعد اليوم الثالث بلغ الخبر حمودة باشا فجمع أرباب دولته وأعلمهم ببلوغ الشّابي عاصمة الدولة فجهزوا جيشا لمواجهته واشتعلت المعركة بين الطرفين وتمكنت قوات بوزيان الشابي والمقدّرة باثنا عشر ألفا من إلحاق الهزيمة بجيش حمودة باشا وقتل منها مائة وستين فارسا واستولى على أسلابهم وخيولهم.

ورغم محاولة حمودة باشا الثأر للهزيمة والإيقاع بجيش الشابي بعد إرسال قوات بلغت ثلاثمئة إلا أنها تكن أكثر عددا وعتادا من قوات الشابية مما جعل أتباع الشابي يستهينون بجيش حمودة باشا حسب رواية العدواني في قوله:"... قومك التي بعثتها فترانا في وسطهم كالشامة البيضاء في جانب البعير الأسود".

واستعان الباي بعدها بحاكم طرابلس الذي أمّده بمائتي جندي تركي نزلوا بصفاقس ومنها إلى باجة حيث أرسلهم حمودة باشا إلى ميدان المعركة واشتدّ القتال بين الفريقين وحسمت الموقعة لصالح الشابية وانهزم جيش حمودة باشا وكانت الخسائر معتبرة حيث قتل أربعون فارسا من جيش الشابي ومائة وأربعون من قوات حمودة باشا وفرّ الناجون منهم أهدافه المرجوة واستمرار أبنائه من بعده في حروبهم وتجنيد القبائل وقد عبّر بن أبي دينار عن نجاح حمودة باشا في حروبه ضد الشابية مبيّنا توجهه المساند للسلطة الحاكمة.

---

[1] يوسف بن حيدة: **المرجع السابق** ،ص ص(174-176).

[2]- الشابي: **تاريخ الشابية**، ص 376.

عبد الصمد وولده من بعده أبي زيان فشاركهم في عربانهم وأجلاهم عن معاقلهم وأوطانهم ،وشتتهم في القفار وأخلى منهم الديّار وأضاف إلى رعيته وأحسن منهم وألزم الجاني بخطيئته ،وركب منهم عدّة من الفرسان وجعلهم من جملة رجاله[1].

ويظهر من خلال تعبير بن أبي دينار سيطرة حمودة باشا على المنطقة وتحييزه للمجال وإنهائه للحركة الشابية الاحتجاجية وحليفتها من القبائل بعد أن كانت تمثل عنصرا هاما في تقاسم السلطة مع التحيُز الواضح للمؤلف إلى جانب السلطة العثمانية ضد الشابية وحلفائها ولعل هذا راجع إلى أصله الحضري ،وما ميّز فترته من علاقة تضادّ بين الحضر والبدو ،عكس العدواني الذي كان متأثرا بالحركة الشابية ونشاطها كان بدويا صوفيا مدافعا عن الطريقة ومتأثرا بالكرامات ويقف موقفا معاديا للأتراك بما تدل عليه رواياته واستعماله الرمز مثل حرف (ح)أو(ه) للدلالة على حمودة ،وربما كان ذلك خوفا من تعرّضه للانتقام[2].

ويبدوا أنّ النفود العثماني بزعامة حمودة باشا وسيطرته على المجال الريفي أثّر على نفود الشابية التي عرفت تراجعا مع استمرارية بشكل أقل تأثيرا بعد وفاة بوزيان الشابي وخلفائه من أقربائه .

[1] يوسف بن حيدة: **المصدر السابق** ،ص ص(176 -177).

[2] - الشابي :**تاريخ الشابية**، ص 379.

المبحث الثاني :جذور الشابية في الحرب الأهلية التونسية الأولى وعلاقتها مع الجوار.

اولا: جذور الشابية في الحرب الأهلية التونسية الأولى(1675م–1686م)

عرفت تونس أوضاعا سياسية صعبة نتيجة الصراع حول السلطة بين الأخوين علي باي ومحمد باي بعد وفاة والدهم مراد الثاني سنة(1086هـ/1675م)،ويرجع ذلك إلى عدم اتّفاقهم حول اختيار الوريث للحكم واتسعت رقعة النّزاع بانخراط القوى المحلية من القبائل إلى الطرفين مما تسبب في تعقّد الأوضاع السياسية واندلاع حروب الخلافة المرادية في كامل الإيالة.

ويبدوا أنّ الحركة الشابية ساهمت في هذا الصراع حيث حاول شيخها الشيخ أحمد الصغير الذي تولى المشيخة سنة(1047هـ/1637م) الاستفادة من الوضع لاستعادة ما فقدته الطريقة من مكانة سياسية واسترجاع مواردها الاقتصادية الممثلة في العادة التي كان يدفعها لها الأتباع وخاصة من قبيلة الحنانشة حليفتها الأولى التي كانت تتمتع بنفود واسع في عهد حمودة باشا.

وقد استند الصراع الدائر حول السلطة بين الأخوين على القاعدة القبلية التي انقسمت بدورها بين الطرفين المتنازعين حيث انضم فرع من الحنانشة إلى الباي علي لما يربطها به علاقة مصاهرة باعتبار أنّ الباي علي متزوج من ابنة الشيخ سلطان الحناشي إضافة إلى قبيلة أولاد سعيد ودريد[1].

أمّا الشابية بقيادة أولاد بوزيان وبمساعدة بعض أفراد قبيلة الحنانشة انضمّوا لمحمد باي كما وجد هذا الباي دعما من حكومة الدايات بالجزائر وخاصة الداي شعبان باشا(1082هـ/1671م-1106هـ/1695م)الذي كانت حكومته تتدخل في شؤون تونس[2].

وكان العامل المادي هو المحدّد الأساسي في استقطاب الأنصار وانضمام القبائل فالقبائل المتنافسة اختارت الانضمام للباي الذي يمكن أن يُجزل العطاء لها ويعفيها من دفع الضرائب وهو ما شكل فرصة مناسبة للقبائل بهدف استرداد ما فقدته من نفود اقتصادي في التراب التونسي ومن بينها الحنانشة وكذا الشابية التي ترغب في استعادة مكانتها والحفاظ على فوائد الزيارات التي يقدمها لها الأتباع[3].

---

[1] يوسف بن حيدة:**المصدر السابق**، ص ص(177-178).

[2] ابو القاسم سعد اللّه :**تاريخ الجزائر الثقافي** ،ص277.

[3] الشابي :**العلاقات بين الشابية والأتراك** ،ص84.

واستعدادا للحرب تمّ استقطاب الطرفين للقبائل وتجنيدها ووقعت المعركة بواد تاسة سنة 1677م بالقرب من القيروان انهزم فيها محمد باي* والشابية وقتل فيها شيخ الحنانشة سلطان وقد عبّر بن أبي دينار عن هذه الواقعة عند تحدثه عن علي باي بقوبه:"وكانت له واقعة أخرى مع جموع أخيه كابن الحاج شيخ الحنانشة وأولاد أبي زيان-الشابي-لأنهم دهموا عليه الجموع فطعن ومات ووقعت في عسكر أبي"،سنة(1105هـ/1694م) وبعد أن أغلقت الأبواب دونه لجأ إلى الزّب يالقرب من تمزة وبقي هناك وقتا استطاع تجنيد القبائل والعودة إلى الحكم بالقيروان بعد معركة طويلة.

ولعل الدور الذي قامت به الطريقة الشابية في الحرب المذكورة وتأييدها له هو الذي جعل الباي محمد يمنحها مكاسب مادية مكافأة لها على نشاطها الحربي وتوثقت الصلات أكثر عندما أحبس الباي محمد عليهم أوقافا منها هنشير قرابة الدهماني،وجنّة نخيل بلماري بحامة الجريد ،وواحة نخيل كلما حمو في توزر[1].

ومن هنا آثرت الشابية الانزواء بتوزر وتراجع دورهم الحربي وأصبحت تجمعهم علاقات طيبة بالسلطة التونسية وانصبّ اهتمامهم على التعليم ونشطت مؤسساتهم الدينية وخاصة بيت الشريعة التي تدعمت بأوقاف وحبوس من الباشا محمد باي[2].

كما ساهم النشاط الدعوي في استعانة الحكام بهم في مهادنة القبائل ومنها الرواية التي يذكرها علي الشابي نقلا عن مؤلف الأنوار السّنية بأنّ الصادق باي استعان بالشيخ سعيد بن عمار الشابي شيخ بيت الشريعة في كبح جماح قبيلة أولاد عبد الكريم من الهامة سنة (1288هـ/1871م)،ونجح في طمأنة القبيلة وإعادتها إلى صوابها نظرا لوجاهته وتأثيره الديني فحاولت السلطة العثمانية مكافأته بهذا الصّنيع بتخصيص أوقاف لبيت الشريعة[3].

* محمد باي هو الإبن الأكبر لمراد باي وعلي باي هو الإبن الأصغر ولما توفي والده سنة(1086هـ/1675م)كان قائدا للحملة وعلي حاضر الوفاة فاتفق أهل الحل والعقد على تولية الأخوين وسيّروا لهم خلع سلطانية وأوامر تشريفية ولكن الخلاف حول تولي الحكم بينهما أدّى إلى حرب اهلية :للتفاصيل انظر: **ابن ابي دينار** ،المصدر السابق،ص260.

[1] المرزوقي:**المخزن ومخزنة القبائل التونسية** ،ص629.

[2] يوسف بن حيدة :**المصدر السابق** ،ص ص(178-179).

[3] الشابي:**العلاقات بين الشابية والأتراك** ،ص ص(84-85).

ويبدوا أنّ الشابية أنهكتها الحروب ضد السلطة العثمانية إضافة إلى تفرّق القبائل التي كانت تنتمي إليها خاصة بعد التغيرات التي كانت تعرفها مشيخة الطريقة وتراجع دورهم في الحفاظ على استمرارية العمل الثوري مما جعلها تختار النهج الدعوي عن طريق بيت الشريعة ،وحرص سيوخها على جمع الضرائب كما توضحه إحدى الرسائل التي وجهها أحمد بن عمار الشابي شيخ بيت الشريعة بالجريد إلى فرحات آغا الكاف(المؤرخة في 11جمادى الأولى1280هـ/24أكتوبر1863م)والتي بيّن فيها ملازمتهم الدعاء الصالح للحاكم عقب كل درس وصلاة[1]ومبرزا له بأنّ بعضا من أتباع الشابية امتنعوا عن دفع الإعانة مطالبا بتدخل آغا الكاف لحلّ المسألة نهائيا بل كان ظرفيا أمام النجاح الذي حققه حمودة باشا في إدماج العربان لطاعته.

ثانيا:علاقة الشابية بإيالة الجزائر و التمركز الشابي

1- إقليم قسنطينة والتمركز الشّابي

شكل بايليك الشرق وعاصمته قسنطينة امتداد جغرافيا ومجالا لنشاط الطريقة الشابية وارتبط بالتواجد القبلي الذي شكل دعاتها الأساسية أثناء فترة حكمها ،ومجالا للتوسع والانتشار وقاعدة خلفية للحراك الاحتجاجي والدعوي رغم محاولات السلطة العثمانية إنهاء وجودها بالمنطقة[2].

وتعود أولى محاولات الأتراك للسيطرة على إقليم قسنطينة إلى سنة(933هـ/1527م)حسب الدراسات المهتمة بهذا الجانب ومنها ما ذهب إليه سعد اللّه بأنّ الأتراك دخلوا قسنطينة عاصمة الإقليم أول مرّة سنة(943هـ/1536م).

ومند استقرار الأتراك بالإقليم حاولوا جاهدين أن يستفيدوا من النفود الأسري بالمنطقة للتحكم في الأوضاع والسّيطرة على الإقليم ،فقاموا بتقريب بعض الأُسر والتعامل معها مقابل امتيازات معينة مثل عائلة الفكّون وعائلات عبد المؤمن ،وبن باديس ،وأولاد صولة من الذواودة وأسرة أولاد مقران مجانة وأولاد بوعكاز بالصحراء ،وأولاد عاشور بفرجيوة، والأحرار وأولاد قاسم في شرق وجنوب شرق قسنطينة[3].

---

[1] الشابي :**تاريخ الشابية** ،ص 379.

[2] يوسف بن حيدة: **المصدر السابق** ص ص (146-147).

[3] الشابي :**العلاقات بين الشابية والأتراك**،ص ص(70-72).

ولعل أهم ما كان يميّز المجتمع القسنطيني في هذه الفترة هو التنافس بين كبرى العائلات التي كان لها نفوذ داخل المدينة،مما أدى إلى إنقسام العائلات القسنطينية إلى شقين واحد محافظ تشبث بولائه القديم للحفصيين وتقوده عائلة عبد المومن ،والثاني منفتح على العثمانيين ومساند لحضورهم ترأسته العائلة الفكونية كانت هاتين العائلتين تعيشان على العلم والتجارة والزراعة[1].

وكثيرا ما وجد الأتراك صعوبات أمام النفوذ الأسري مما جعلهم يسعون لتشجيع التنافس القبلي والصراع العشائري المعتمد على روح العصبية في كثير من الجهات وذلك حتى تبقى السلطة في يد البايليك.

كما عرف بايليك الشرق ثورات متعددة كان لها أثر سلبي على الاقتصاد والاستقرار ومن بينها الانتفاضة الاتي اندلعت في(980هـ/1572م) و واجهها الباي رمضان تشولاق ولكنها عمّت البايليك واستعان الباي بقبائل المخزن ممثلة في قبيلة الذواودة المتحالفة مع السلطة العثمانية مند(928هـ/1522م)،حيث جرى اتّفاق بينهم على تقديم العون من قبل أولاد يعقوب أحد فروع أولاد بوعكاز للحامية التركية الموجودة بقسنطينة مقابل تزويدهم بالأسلحة[2].

كما عرف الإقليم ثورات عديدة كانت آثارها سلبية على الإقليم كإنتفاضة ابن الصخري سنة (1047هـ/1637م) الذي واجه حلفا مضادا من الشابية وحليفاها من قبائل الحراكتة[3]والنمامشة والحنانشة ودامت بينهم حروب طويلة وثورة يحي الأوراسي وأولاد عبد المومن التي اندلعت بقسنطينة سنة(1052م/1642م) وثورة أولاد مقران بمجانة سنة (1053هـ/1643م) وثورات الحراكته و النمامشة مما يُبيّن بأنّ السلطة كانت أمام تحدّ كبير لمواجهة هذه الأحداث.

وتفاديا للصراعات ولخلق توازن داخل الإقليم لجأ الأتراك إلى توزيع الأدوار بين لزعامات القبلية حيث عادت مشيخة العرب إلى الذواودة بعد صلح(980هـ/1572م)* وللحنانشة وظيف قبلي يعادل

---

[1] أبو القاسم سعد الله: **السلطة السياسية والطرق الصوفية**، ضمن كتاب على خطى المسلمين حراك في التناقض،عالم المعرفة للنشر والتوزيع ،ط1،الجزائر،2009 .ص212.

[2] يوسف بن حيدة :**المصدر السابق** ،ص ص(147-148).

[3]الشابي، **تاريخ الشابية** ،ص356.

* عرفت سنة1572 ثورة عمّت البايليك في حكم باي قسنطينة رمضان باي (1567-1574) وثارت القبائل في مختلف الجهات ،المصدر السابق،ص 45.

دور الذواودة مع بقاء السّلطة للأتراك بمساعدة العائلات الوجيهة وقد أشار بن مبارك إلى ذلك بقوله :"أنّ الباي إذا أتته خلعة الولاية يلبسها الأول ثم يبعثها إلى شيخ العرب وبعده شيخ الحنانشة ويعرف وظيف القفطان لأنّ ولايتهما كولاية الباي".

وفي خضم هذه الأحداث كانت الشابيّة بدعم من قبيلة الحنانشة وبني شنوف تنشط في شرق البايليك ،على غرار قبيلة النمامشة والحراكتة من جهة الغرب غير أنّ تراجع الطريقة وفقدان هيمنتها وسلطتها السياسية داخل تونس جعل القبائل الواقعة في الحدود بين الجزائر وتونس[1] تتغّير في موقفها اتجاه الشابية ،وهذا ماجعل محمد الزفزاف يتردد على مواطن القبائل الجزائرية الحليفة من أجل الحفاظ على ولائها وتعبئتها ضد سلطة الباي في بايليك قسنطينة والأيّالة الجزائرية وبعد وفاته سنة (985هـ/1577م) انتقلت موازين القوى لصالح قبائل جديدة مثل قبيلة أولاد بمجانة وبني أوكا بالأوراس والزّاب.

2- عناصر السلطة في الجزائر وتونس

لعل من أبر مميزات الفترة العثمانية في الجزائر وتونس تنازع السلطات بين الفاعلين في المجتمع تناولت المؤلفات التي عالجت هذه الفترة وبخاصة في الفترة القرن السابع عشر والثامن عشر أقطابا ثلاثة مثّلوا مركزا للسلطة هم سلكة القبيلة التي لعبت أدوارا سياسية واجتماعية في حركة المجتمع من خلال العصبيات وسلطة شيخ الطريقة أو الفقيه أو سلطان العلم وتداخلت السّلطات بين الأطراف الثلاثة ،ودخلت في صراح أو تحالف كان له نتائج متعددة على هذه الأقطار[2].

ولم يكن للسلطة المركزية تأثير كبير أمام تصاعد سلطة القبيلة لتي لعبت أدوارا مركزية في حركة المجتمع ،وشكّلت عنصرا فاعلا في اللّعبة السياسية من خلال امتدادها التاريخي والجغرافي في الجبال والصحاري الشّاسعة ،أما السّلطة الثالثة فتتمثل في سلطة شيخ الطريقة من خلال نفوده الروحي وتأثيره على المجتمع والأتباع ودوره كوليّ يساهم في احياء الجماعة التي ينتمي إليها[3].

[1] انظر الملحق رقم 03، توضيح نشاط الطريقة الشابية بين الجزائر وتونس.

[2] يوسف بن حيدة: **الصدر السابق** ص ص(149-150).

[3] بلغيت ،**الشيخ محمد بن عمر العدواني**،ص46.

وهكذا كانت الأطراف الفعالة أو السّلطات الثلاث سلطة الباي والمخزن ،وسلطة القبيلة وسلطة الشيخ والمريد من أركان البناء المؤسساتي وبما تتحكم فيه علاقات وتأثير في إطار الثلاثية الثلاثية الوظيفية[1].

كما تحكمت في العلاقة بين عناصر السلطة عوامل متعددة ومنها النزاع حول مناطق النفود والسّعي لتحقيق مكاسب اقتصادية أو التحكم في السّلطة ،وهذا ما جعل السلطة الحاكمة تلجأ في سياستها إلى اتّباع القوّة والمواجهة لفرض سلطانها على القوى المنافسة.

ويبدوا بأن الزوايا كمؤسسات اجتماعية ودينية واقتصادية لعبت دورا أساسيا في هذه الفترة من خلال نشاطها الدائم والسّاعي لتجاوز المجال الحدودي إلى التأثير في تدعيم الروابط بين الرّيف والمدينة ،وصهر الفئات الاجتماعية والمجموعات القبلية المتنافرة في بوتقة روحية أو نقل التصوف من الجانب النّخوي نحو التصوف الشعبي.

كما أنّ السلطة الجديدة لم تجد بدّا أمام استقرارها السياسي وبناء مؤسساتها من الاعتراف بالدور الاجتماعي والتربوي للزوايا وبما تستقطبه من أتباع وهذا ما جعلها تلجأ إليها كحليف في المدن للاستتباب الأمن مقابل امتيازات معينة[2].

حيث نجد بأنّ سلطة الباي في تونس قد استعانت بأهل الحلّ والعقد للتحكم في الفضاء الرّيفي وجعله ضمن نطاق السلطة فاستعانت بشيوخ القبائل ورؤساء العشائر والأولياء وشيوخ الزوايا والطرق ليسهل عليها الإشراف المباشر على المجتمع في تلك المناطق[3].

ورغم ما قد يمثله التحالف من ظرفية ،إلا أنّ التوتر كان غالبا على العلاقة بسبب التنازع حول النفود كثيرا ما استعملت السلطة في تونس والجزائر قوتها فجرّدت الحملات التأديبية من أجل إخضاع القبائل المتمردة على سلطان المخزن وإلزامها بدفع ضريبة بالُّزمة التي ظهرت مند مطلع القرن السابع

---

[1]– عبد اللّه حمودي: **الشيخ والمريد النسق الثقافي في المجتمعات العربية الحديثة** ، ترجمة عبد المجيد جحفة ،دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ،ط4 ،2010 ،ص117.

[2]فتحي المرزوقي:**المؤسسات الدينية والمؤسسات الخيرية بمدينة تونس في القرن الثامن عشر (مقوماتها الإقتصادية ووظائفها الإجتماعية)**،المجلّة التاريخية المغربية،العدد84،83،منشورات مؤسسة التميمي ،زغوان ،1996،ص197.

[3]يوسف بن حيدة، **المصدر السابق** ص ص(150-151).

عشر ،وهذا النوع من الأسلوب الممارس من طرف السلطة استهدف القبائل والزوايا الصوفية حيث كان هدفه النّيل من الخيرات التي كانت تجنيها الطريقة من الأتباع والمريدين[1].

وكثيرا ما تُغّير السلطة استراتيجياتها فتلجأ إلى الزواية فتتبنى تقاليدها وطقوسها الممثلة في الإحتفالات الموسمية(الزيارة) وتدعيمها ماديا فقد كان البايات المراديون والحسينييون وقبلهم الأمراء الحفصيون يشرفون على مظاهر التشريفات المقامة في المزارات والأضرحة والزوايا مما زاد في ثراء الزوايا ماديا وتدعمت معها النهضة الصوفية[2].

كما عملت الطريقة أو الزاوية على محاولة إدماج القبيلة في مشروعها الصوفي والاستفادة من نفودها وانخرطت القبيلة مع شيخ الطريقة ،وتداخلت السلطات الثلاث بين شيخ الطريقة وسلطة الباي وشيخ القبيلة وتجادبت هذه الثلاثية مقاليد السلطة والبحث عن نفود واسع ،بين التحالف أحيانا والتصارع أحيانا أخرى.

ومنه مثلت الشابية كطريقة صوفية عنصرا فعالا في صراع كان أبطاله الرئيسيون هم السلطة الحاكمة والقبائل والزوايا مستعملة أدوات ووسائل في مجالات متعددة حيث نجد السلطة والمال والحركة والبيعة والعلم والكرامة.

ثالثا: التوجهات الثورية والدعوية للشابية

1- التوجهات الثورية

بعد سقوط الإمارة الشابية بالقيروان انقسمت الطريقة الشابية إلى ثلاثة اتّجاهات يمكننا ان نوردها على النحو التالي :

الاتجاه الاول: اتجاه روحي زمني سياسي يجمع بين التوجه الصوفي والحربي يمثله محمد الزفزاف بن عرفة الشابي ومحمد بنور بن عبد اللطيف والد محمد المسعود وعبد الصمد.

---

[1] محسن التليلي :**الزوايا والطرق الصوفية بالوسط الغؤبي التونسي** ،ص276.

[2] محمد مكحلي: **ثورات رجال الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني(1827،1707م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة الجيلالي ليابس ،سيدي بلعباس ،2003، 2004،ص 212.

الاتجاه الثاني: اتجاه روحي صوفي صرف يمثله بدر الدين ابن محمود بن عبد اللطيف ومحمد المسعود الشابي.

الاتجاه الثالث: اتجاه ثوري صرف يمثله عبد الصمد الشابي وعلي بن عبد الصمد وبوزيان بن علي[1].

ورغم الاختلاف المطروح بين التيارات في النشاط غير أنّ الهدف كان واحدل وهو الاحتفاظ بولاء القبائل التونسية والجزائرية والاستعانة بها في الظروف القاسية والحفاظ على نفود الطريقة وإشعاعها الروحي ،وحتى السياسي إن أمكن لاستعادة الدولة المفقودة[2].

2- التيار الروحي الثوري بزعامة محمد الزفزاف

رسم هذا التيار ازدواجية متلازمة للطريقة وجمع بين المسارين الروحي والسياسي وقد تزعمه الشيخ محمد الزفزاف الذي وصفته المناقب الشابية بأنّه يتميز بشخصية تجمع بين القيادة الحربية والحنكة السياسية وهكذا الشخصية الصوفية التي اكتسبها كشيخ للطريقة وقيامه بنشاط دعوي في المدن والأرياف وحاول أن يخلف والده عرفه الشابي عد فشل محمد بن أبي الطيب في الحفاظ على الرئاسة السياسية والروحية[3].

وكانت بداية نشاطه أثناء انتقاله مع أسرته إلى منطقة الجنوب الغربي التونسي بعد مطاردته من طرف الجيش العثماني وأتباع الزاوية الغريانية حتى منطقة عين النشوع بحمامة الجريد واستقر بالمنطقة حوالي سنة(967هـ/1560م) وقد عبر خريف عن ذلك بقوله :"..ففرّت أشياعهم من القيروان وسكنوا البادية ،وتفرّقوا واستوطن جماعة منهم الجريد بخيامهم ينتجعون المراعي لمواشيهم أينما وجدوا ويأوون لبلد توزر وغيرها من بلدان الجريد عند الاقتضاء.

وكان نشاط الشيخ الثوري والديني يتم بمساعدة أحد أقاربه المعروف بمحمد بنور بن أبي الشيخ محمد المسعود الكبير دفين جبل شوشان وتقاسما مهمّة الإشراف على الأتباع وتوجيههم روحيا

[1] يوسف بن حيدة: **الصدر السابق** ،ص ص(151-152).

[2] - بلغيت :**الشيخ محمد بن عمر العدواني**، ص ص(69-70).

[3] الشابي :**مصادر جديدة لتاريخ الشابية** ،ص ص(42-57).

وعسكريا بهذف مواصلة نشاطهم الحربي ضد السلطان أحمد الحفصي(1542-1562) والحاميات العسكرية التركية المتمركزة بكل من القيروان وتوزر وقفصة قبل أن ينتقلوا إلى قلعة أرقو للتحصن بها ضد هجمات الأتراك.

ويبدوا أنّ نشاط محمد الزفزاف تزامن مع تنقلات محمد بن أبي الطيب بين الوسط والشمال ولم تشر المصادر والأدبيات إلى وجود اتصال بينهما ،ولعل هذا قد يرجع إلى تفرّد بن أبي الطيب بالحكم واستئثاره بالسلطات بمنأى عن مجلس الشابية ،وغياب دور واضح لمحمد الزفزاف أثناء نشاط الشابية بالقيروان[1].

وقد تطرّق مونشيكور ألى محمد الزفزاف اعتمادا على التقارير والرسائل التي كان يرسلها ألونزو دي لاكويفا إلى ملك إسبانيا مبيّنا مكانته عند أتباعه من القبائل ومشبها إيّاه بـ"مارتن لوثر"* لدى النصارى في نشاطه الصوفي وحركته الإصلاحية[2].

وتمتّع بنفود لدى الأتباع مما جعلهم يعتقدون في ولايته وينسبون إليه كرامات أصبحت متداولة بين أتباع الشابية بتوزر منها :"أنّ الشيخ الزفزاف روّض الجنّ خلال حياته فكان يحادثُ اثنين بلغتهما التي توحي بزفيف الرياح مما جعل أتباعه ينعتونه بالزفزاف والكلمة الدّالة على زفيف(هبوب الرياح بسرعة)،حيث تأتي قبائل الجنّ وعلى رأسها بني الأحمر لزيارة قبر سيّدها القديم وكانوا يأخذون الأطفال المسكونين بالجانّ ويتوسلون بالوالي حتى يتخلوا عن اجساد المسكونين"[3]

كما اقترنت المكانة الروحية للزفزاف بين أتباعه بطموحات سياسية في استعادة القيروان عن طريق العمل الثوري رغم التحفظ الذي واجهه من الشيخ بدر الدين الشابي في انتهاج سياسة مهادنة مع

---

[1] يوسف بن حيدة: **المصدر السابق** ،ص152.

*راهب ألماني ولد سنة (888هـ/1483م)زعيم حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في أوروبا خلال القرن السادس عشر، عرف بمعارضته لأفكار الكنيسة الكاثوليكية، توفي سنة(952هـ/1546م)،تاريخ أوروبا الحديث (1848/1453)، منشورات قاز يونس، بنغازي ،ط1، 1996،ص 86.

[2] عرفة الشابي:مرجع سابق، ص44.

[3] الشابي ،**تاريخ الشابية**، ص 208.

الأتراك والتركيز على الجانب الدعوي والاهتمام بالفقراء وإعطاء العهد فقد خاطبه قائلا :"رغبتي أن سيدي الشيخ لا ينصرف إلى هذا الأمر(يقصد الحرب) إنما نحن معروفون بالفقر(التصوف)،وبإعطاء العهد للمريدين فأجابه :يا بدر الدين أمّا نت فقد وجدت ما طلبت(أي التحقيق في معاني التصوف الخالص)،وأما نحن فلم يكن لنا منه(أي القتال الحربي) مخلص حتى نلقى اللّه الأمر كذلك".

والحوار يبيّن الانقسام الذي ستعرفه الطريقة بين تيارين ،التيار الروحي و الاحتجاجي وما نتج عنه من تأثير على مصير الطريقة وطموحات شيوخها المنبثقة من الماضي و ما قد يثيره من تنازع للحفاظ على التراث العلمي والدعوي للشابية أو استعادة الدولة المفقودة عن طريق العمليات الثورية الاحتجاجية.

ويبدوا أنّ نصيحة بدر الدين قد أثّرت على مواقف محمد الزفزاف الذي يئس من استعادة القيروان فأصبح طموحه مقتصرا على دفنه فيها وهذا التراجع جعل مونشيكور يتساءل عن موقف لوثر الإفريقي بحثا عن إجابة لها بقوله :"كيف لم يتمكن الزفزاف كان بمثابة الإمام أكثر منه الرجل السياسي"[1].

ولعل التوجه الديني والدعوي هو الذي شغل الشيخ الزفزاف فانصبّ اهتمامه المشترك الذي جمعه مع قريبه بدر الدين بالدعوة للطريقة والتعريف بها فكانوا يرتادون أماكن القبائل بقصد توعيتهم ،وتوجيههم وإرشادهم وتعليمهم مبادئ الطريقة وأصولها وأشرفوا على تعيين المقدمين كما هو حال محمد بنور الذي قام بتوجيه رسالة إلى أهل العلم والفقر تتضن تعيينه لمقدم من نفطة والمعروف ب"أبو القاسم بن محمد بن جبنون النفطي" وأذن له في مدّ يده للفقراء وفق العهد وسند الطريقة* مما فتح المجال أمام انتشار الطريقة في مواطن عديدة من المدن والأرياف وترّق أتباعها بين تونس وواد منشتل وتيزقرارين بالجزائر[2].

[1] يوسف بن حيدة: **المرجع السابق** ص154.

* الرسالة ذكرها علي الشابي وهي تتضمن سند المصافحة من عبد العزيز بن أبي الطيب وصولا إلى أحمد بن مخلوف الشابي ، أنظر : الشابي :**تاريخ الشابية**،ص 325.

[2] الشابي :**عرفة الشابي** ،ص72.

3- الإتجاه الدّعوي الصوفي[1]

يمثل هذا التيار استمرارية لنشاط الطريقة من عهد المؤسس أحمد بن مخلوف الشابي وخليفته عرفة الشابي الذي جمع بين العمل السياسي والدعوي وبعد سقوط الإمارة الشابية ظهر هذا الإتجاه الدعوي العلمي الخالص بزعامة بدر الدين الشابي الذي أفصح أثناء حواره محمد الزفزاف عن توجهه القائم على إعطاء العهد وتكوين المريدين.

وازدهر هذا الاتجاه في عهد محمد المسعود الشابي* (1028هـ/1619م)ثامن شيخ للطريقة الشابية،الذي تفرغ للنشاط الدعوي بحركته الدؤوبة في التعريف بالطريقة والسعي للحفاظ على استمراريتها من خلال شرح مبادئها وتكوين أتباعها.

وبداية نشاط الشيخ الدعوي ارتبطت بفترة استقراره بالأوراس وجبل ششار حيث أقام زاوية مشهورة أصبحت تحمل اسمه ومنها كانت رحلاته الدعوية بالمنطقة حاملا معه مشروع أسلافه في الدعوة والتكوين التي استقطب فيها مؤسس الأسرة أحمد بن مخلوف الشابي عدادا كبيرا من المريدين لطريقته.

ومما يجدر الإشارة إليه أنّ اهتمامات المسعود الشابي الدعوية والعملية قد أدّت الى خلاف بينه وبين أخوه عبد الصمد الشابي نظرا لتوجهات هذا الأخير القتالية واستمراره في مواجهة الأتراك فأنكر على أخيه تفرغه للجانب الدعوي العلمي واستهجن ذلك بقوله :"خليك طويلب" وتذكر الروايات أنّ الشيخ مسعود فرّ من أخيه وخاف من أن يقتله بعد رفضه الاشتراك معه في الحرب حيث كان قد أقدم قبل ذلك على قتل أخيه القاسم وثلاثة عشر من أفراد أسرته[2].

---

[1] مونشيكور : **المصدر السابق** ، ص72.

*ولد سنة (970هـ/1563م)،انتقلت به أسرته إلى توزر وهو صغير ،ثم انتقل إلى ششار حيث أقام بها وكانت له رحلات منها ذهابه إلى الحج سنة(1003هـ/1595م) ،حيث التقى بعلماء أخد عنهم الإجازة مثل الشيخ صالح البلقيني الشاقعي وسالم السنهوري المالكي ،ولما عاد إلى تونس قام بنشر الطريقة الشابية له مؤلفات عديدة منها :"الفتح المنير بما ربوابه الشابية الفقير ،الدر الفائق في علم الطريقة والإشارات إلى الحقائق "أنظر: حسني عبد الوهاب ،ص ص(527-528).

[2] يوسف بن حيدة :**المرجع السابق** ص ص (155-156).

وكان لهذا الخلاف أثر على مسار النشاط الدعوي وما عرفه من صعوبات نتيجة مواكبته لنشاط التيار الثوري الذي كان يسعى لاستعادة مجد الطريقة بالمواجهة إضافة إلى مطاردة الأتراك لبقايا الشابية ما بين الجزائر و تونس ورغم إعراض هذا التيار عن التصادم المعلن مع السلطة والدخول في الاحتساب والاحتجاج ضدها.

وبهذا أصبح التنقل خاصية تميّز شيوخ الشابية بحثا عن مكان آمن لمواصلة النشاط وبحثا عن أتباع يدعمون الطريقة ويساهمون في نشاطها ونتيجة لهذا السعي غادر مسعود الشابي جبل ششار مفضلا الانتقال إلى الجنوب الغربي التونسي بمنطقة الجريد والجنوب الشرقي للجزائر بمنطقة وادي سوف[1]،وفي هذه المنطقة عرف التيار الدعوي ازدهارا بزعامة المسعود الشابي ومن بعده ابنه علي وخلفائه في الطريقة وقاموا بدور كبير في ارشاده وتوجيهه العديد من سكان المنطقة مما ترك أثرا طيّبا عبّر عنه إبراهيم خريف بقوله :"وظهر فيهم صلحاء وعلماء لا ينكر فضلهم".

[1] الشابي :**مصادر جديدة لتاريخ الشابية**،ص36.

خلاصة:

يبدوا أنّ الشّابية أنهكتها الحروب ضد السلطة العثمانية إضافة إلى تفرّق القبائل التي كانت تنتمي إليها خاصة بعد التغيرات التي كانت تعرفها مشيخة الطريقة وتراجع دورهم في الحفاظ على استمرارية العمل الثوري مما جعلها تختار النهج الدعوي عن طريق بيت الشريعة ،وحرص شيوخها على جمع الضرائب كما توضحه إحدى الرسائل التي وجهها أحمد بن عمار الشابي شيخ بيت الشريعة بالجريد إلى فرحات آغا الكاف والتي بيّن فيها ملازمتهم الدعاء الصالح للحكام عقب كل درس وصلاة ومبرزا له بأنّ بعضا من أتباع الشابية امتنعوا عن دفع الإعانة مطالبا بتدخل آغا الكاف لحل المسألة.

الخاتمـــــــة

خاتمة

وفي نهاية هذه المذكرة المخصصة للبحث في الطريقة الشابية ودورها السياسي في تونس خلال القرن 18نخلص إلى النتائج التالية :

_ نسبت الطريقة الشابية إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن مخلوف المولود ببلدة الشابة التونسية ،ومنها أخذ كنيته منها ،فالطريقة الشابية تونسية المنشأ وهي تنحدر من الطرق الصوفية التي عرفت إنتشارا واسعا في منطقة المغرب العربي الإسلامي مطلع القرن الحديث

_ نشأ الشيخ المؤسس للطريقة الشابية أحمد بن مخلوف بتونس وتلقى تعليمه الأولي بها ثم تدرج في العلوم الشرعية حتى اكتمل تكوينه من مشايخ داخل وخارج البلاد معروفين بتوجههم الصوفي.

– أسس أحمد بن مخلوف مشروعه الشابي بعد استقراره بالقيروان وكان نشاطه محدودا بها بعد أن وجد صعوبة في نشر طريقته والترويج لها بسبب المنافسة الشديدة التي عرفتها المدينة بين الفقهاء والمتصوفة وكثرة الزوايا والمشايخ و مريديها.

_ عرف المشروع الشابي تحديات ومخاطر كثيرة كادت أن تعصف به ولكن حكمة الشيخ المؤسس وثباته واجه كل الصعوبات والتحديات واستطاع استكمال مشروعه الذي لقي قبولا وتأييدا من شرائع مختلفة إلى أن أعلن رسميا تأسيسه للطريقة الشابية التي عرفت إنتشارا كبيرا داخل وخارج البلاد التونسية وزيادة مريديها واتباعها

_ تميزت الطريقة الشابية بتطورها عن الطريقة الصوفية التقليدية بمظاهر وممارسة دينية جديدة ،والتي ترجع في نسبتها الصوفية إلى الطريقة الشاذلية ،حيث فرض التصوف الشاذلي نفسه على الحياة الفكرية والدينية بإفريقية.

_ عرفت الطريقة الشابية انتشارا واسعا في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي إلا أنه يصعب تحديد المجال الجغرافي الذي شغلته الطريقة الشابية نظرا لتضارب الروايات حول أماكن انتشارها.

_ يرجع الفضل في انتشار الطريقة الشابية في الأمصار إلى بعض منظريها كالشيخ أحمد التباسي تلميذ أحمد بن مخلوف وشيخ الحنانشة أحمد بن نصر المقنعي وغيرهم من المقدمين ،وكذا الإتصال بالحجاج فقد مثلث تونس معبرا للحجاج القادمين من المغرب الأقصى والجزائر

_ تدعمت الطريقة الشابية بدعائم وإمكانيات مادية وبشرية ساهمت في تثبيت أركانها وتوسيع نفوذها والمحافظة على استمراريتها ،ولقد لعبت القبائل التابعة لها دورا هاما في سبيل ذلك فكانت تمثل لها السند والركيزة الأساسية في تأسيس كيانها وانشاء امارتها والتي بلغ عددها حوالي أربعة عشر قبيلة حسب الروايات على رأسها قبيلة الحنانشة.

_ إن أهم الظروف والعوامل التي ساعدت في إنشاء إمارة للطريقة الشابية بالقيروان وتأسيس دولتها بعد ذلك والذي يرجع الفضل فيها إلى :

- ✓ تقهقر الدولة الحفصية وتراجع نفوذها بداية من القرن 15 حتى القرن 16م.
- ✓ كثرة حركات التمرد وخاصة البدو من الأعراب.
- ✓ تؤثر العلاقة بين السلطة الحفصية والشابية.
- ✓ تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.
- ✓ إستغلال الطريقة الشابية لمكانتها الشعبية.
- ✓ التفاف القبائل حول الشابية ومساندتها.
- ✓ التهديدات والتحرشات الخارجية.

_ لقد مرت الإمارة الشابية بمراحل في تاريخ نشأتها كسائر الإمارات و الدول المتعاقبة من مرحلة القوة والنفوذ إلى مرحلة الضعف والإنحطاط.

_ نهاية الدور السياسي للطريقة الشابية بعد سقوط إمارتها وتراجع نفوذها وزوال طموحها بإقامة دول إسلامية على نمط الدول الإسلامية في العصر الوسيط ،وإنحصار دورها في الدعوة والإرشاد وتحولها إلى حركة دينية بحتة.

الملاحق

- ✓ **الملحق رقم 01** : خريطة البلاد التنوسية.
- ✓ **الملحق رقم 02** : التوزيع الجغرافي للقبائل الحليفة للشابية.
- ✓ **الملحق رقم 03** : توضيح نشاط الطريقة الشابية بين الجزائر وتونس.
- ✓ **الملحق رقم 04** : مقام الشيخ عرفة الشابي بمقبرة الجناح الأخضر بالقيروان ومقام الشيخ مسعود الشابي بزاوية جبل ششار خنشلة .
- ✓ **الملحق رقم 05** : صورة لقلعة تيزقرارين جبل ششار خنشلة .
- ✓ **الملحق رقم 06** : صورة لضريح الشيخ عمار بتوزر ، صورة لضريح الشيخ بورقعة بتمغزة.

الملحق: رقم 01

العنوان: خريطة البلاد التنوسية

المصدر: الامام رشاد ، مرجع سبق ذكره،ص 468.

الملحق: رقم 02

العنوان: التوزيع الجغرافي للقبائل الحليفة للشابية

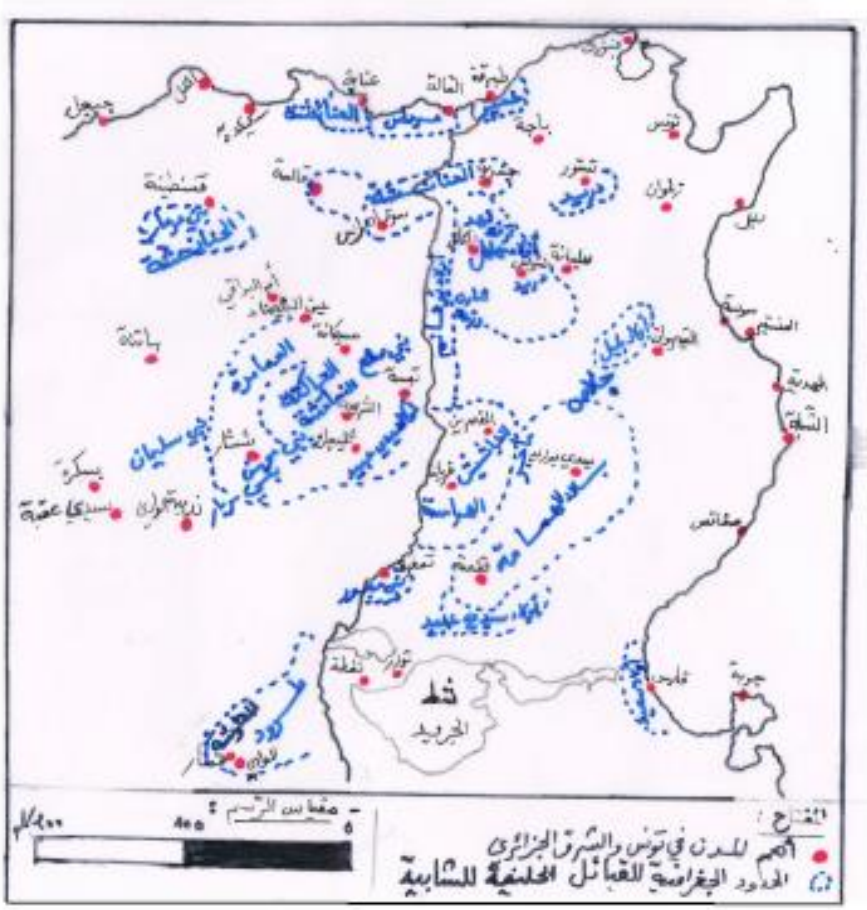

المصدر: الشابي ، تاريخ الشابية ،مرجع سبق ذكره،ص 455.

الملحق: رقم 03

العنوان: توضيح نشاط الطريقة الشابية بين الجزائر وتونس

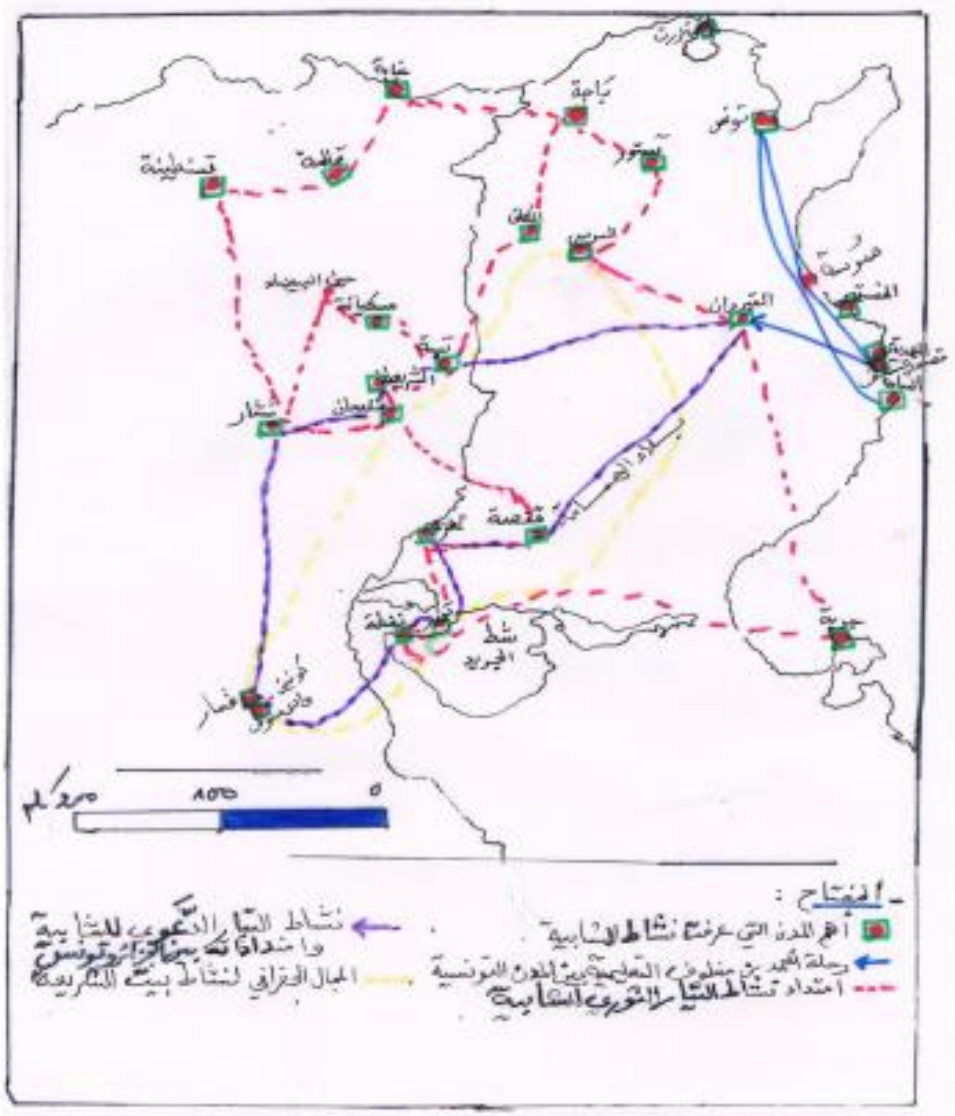

المصدر: يوسف بن حيدة ،مرجع سبق ذكره ،ص 248.

الملحق: رقم 04

العنوان: مقام الشيخ عرفة الشابي بمقبرة الجناح الأخضر بالقيروان ومقام الشيخ مسعود الشابي بزاوية جبل ششار خنشلة

مقام الشيخ عرفة الشابي بمقبرة الجناح الأخضر بالقيروان :

مقام الشيخ مسعود الشابي بزاوية جبل ششار خنشلة:

المصدر: الشابي ، تاريخ الشابية ،مرجع سبق ذكره،ص 457.

الملحق: رقم 05

العنوان: صورة لقلعة تيزقرارين جبل ششار خنشلة

قلعة تيزقرارين جبل ششار خنشلة

المصدر: الشابي ، تاريخ الشابية ،مرجع سبق ذكره،ص 458.

الملحق: رقم 06

العنوان: صورة لضريح الشيخ عمار بتوزر ، صورة لضريح الشيخ بورقعة بتمغزة

ضريح الشيخ عمار بتوزر

ضريح الشيخ بورقمة بتمغزة

المصدر: الشابي ، تاريخ الشابية ،مرجع سبق ذكره، ص 460.

المراجـــع

قائمة المصادر و المراجع

أولا ، المصادر

1.المصادر العربية،

- أبو عبد الله البجي المسعودي، **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية** ،ط2،مطبعة بياكر وشركائه ،تونس ،1323هـ

- احمد بن ابي الضياف،**اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،ج2 ،1977 .

2. المعاجم

– سهيل صابان ، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية** ، تر ،عبد الرزاق محمد حسن بركات ،مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض ،2000.

3. المصادر المعربة

– ألفونص روسو،**الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر** ،نقلها عن الفرنسية ونقحها وحققها وضبطها بأمهات المصادر التونسية وقدم لها بدراس نقدية ، الدكتور محمد عبد الكريم الوافي ،منشورات جامعة قاريونس ،بنغازي ،د ت ط .

- ج.أو.هابنسترايت،**رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى تونس والجزائر وطرابلس (1145هـ/1732م)** ،تر ،ناصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الإسلامي ،تونس ،د س ن.

- روبار برنشيفك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن15**،ج2،ترجمة، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي،ط1،بيروت،1997

- شارل أندري جوليان ، **تاريخ إفريقيا الشمالية تونس المغرب الأقصى الجزائر من الفتح الإسلامي إلى 1830م** ،تع، محمد مزالي والبشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ،ج2، 1978.

- شارل مونشيكور ، **القيروان والشابية (1450–1592)**، ترجمة محمد العربي السنوسي ، دار نقوش عربية،ط1،تونس،2005.

ثانيا ، المراجع

1.المراجع العربية

- ابن أبي دينار ،**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، طبعة الدولة التونسية،ط1،تونس، 1986 .

- ابن سعيد علي بن موسى، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق، إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعات بيروت،1970.

- أبو العلا العفيفي، **الملامتية والصوفية وأهل الفتوة**،منشورات الجمل، بيروت،بغداد،2015.

- أبي عبد الله محمد بن أحمد(بن مريم)،**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1986.

- أحمد التجاني ، **رحلة التجاني** ،حسن حسني عبد الوهاب ،الدار العربي للكتاب ،ليبيا تونس ،1981.

- أحمد بن إسحاق اليعقوبي، **البلدان**، دار الكتب العلمية،ط1،بيروت، 1422.

- أحمد بن مخلوف الشابي ،**مجموع الفضائل في سر منافع الرسائل في بداية الطريق لأهل التحقيق**، دراسة وتحقيق السوسي مبروك ،كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين، الجامعة التونسية ،تونس،1985.

- الحسن الشاهدي، **أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني**،ج2،مطابع عكاظ،الرباط،1990.

- حسن خوجه،**ذيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان**،مكتبة الثقافة الدينية،بور سعيد،د س ن

- دلندة الأرقش وآخرون،**المغرب العربي الحديث من خلال المصادر** ،مركز النشر الجامعي،ميدياكوم ،تونس،2003.

- سالم الأبيض ،**تاريخ شبه جرجيس من العصور القديمة إل نهاية الاحتلال الفرنسي**، تقديم ، نور الدين سريب،ط1، الشركة العامة للطباعة، د.م.ن، 2001.

- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي والرومي البغدادي ،**معجم البلدان** ،دار صادر ،بيروت ،مج1، 1977.

- شوقي عطا الله الجمل ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب)** ط1 ،مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة ،1977.

- عبد الحميد هنية ، **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال** ،دار تبر الزمان ،تونس ،2012.

- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، دار الامة ،الجزائر،ج3، 2009.

- عبد الرحمان بن محمد العياشي، **الأنوار السنية على الوظيفة الزروقية**، الخزانة العامة للرباط، رقم157.

- عبد الله بن محمد بن الشويهد،**قانون أسواق مدينة الجزائر (1695-1705 م)**، تحقيق وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني ،بيروت ،دار الغرب الإسلامي،2006.

- عبد الهادي التازي،**أمير مغربي في طرابلس 1143هـ/1731م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الأسحاقي** ، د.د.ن،د.م.ن ، د.س.ن .

- عثمان الكعاك ،**عنابة قبل وبعد الإسلام** ،مجلة الأصالة ،الجزائر ،عدد 34-1976/35.

- علي الشابي، **العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية** ،(مدخل لدراسة الطريقة الشابية التي أسسها ابنه عرفة الشابي الدولة الشابية بالقيروان سنة(942هـ/1535م)،الدار التونسية للنشر، تونس 1979.

- عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء ،**تقويم البلدان** ،دار صادر ،بيروت ،دار الطباعة السلطانية ، باريس ،1830.

- فاضل بيات ، **الدولة العثمانية في المجال العربي دراس تاريخي في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا** (مطلع العهد العثمانية- أواصر القرن التاسع عشر) مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،2007.

- فيلالي مختار الطاهر،**نشأ المرابطين و الطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثاني**،دار الفن القرافيكي، ط1، باتنة، د س ن.

- لطفي عيسى ، **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ** ، سراس للنشر ، تونس ، 1993 .

- محمد الأمين بلغيث، **الشيخ محمد بن عمر العدوني**، مؤرخ سوف والطريقة الشابية، ط2، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، جيجل، الجزائر،2007.

- محمد الباجي بن مامي ،((**جوامع مدينة تونس في العهد العثماني**))، مشاهد24، قسم الثقافة والمعرفة دراسة تاريخية ومعمارية، تونس، 19أوت 2015 اطلعت عليه بتاريخ 26فيفري 2018.

- محمد الباجي بن مامي ،التأثيرات الثقافية والمعمارية ،أوجه من الحضور الأندلسي بمدينة تونس ، مجلة التاريخ العربي ،سنة 1977 ،العدد 3.

- محمد البهلي النيال، **الحقيقة التاريخية للتصوف الاسلامي**، دار افاق برسبيكتي للنشر،ط2،تونس.2013.

- محمد الصغير بن يوسف ، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي** ،ط1 ،المطبع العصرية ،تونس ،1998 .

- محمد العروسي المطوي ،**السلطنة الحفصية ،تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي** ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1986.

- محمد الكحلاوي، **الفكر الصوفي في افريقية و الغرب الإسلامي**، دار الطليعة للطباعات و النشر،بيروت،2009.

- محمد بن أبي القاسم الحميري (ابن الصباغ)، **مناقب أبي سالم التباسي تلميذ أبي الحسن الشاذلي**، تحقيق وتقديم، أحمد الباهي، دار كونتراست للنشر،ط1،سوسة(تونس)،2012.

- محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني الحسني، **دوحة الناشر لمحسان من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف و النشر و الترجمة، الرباط،1977.

- محمد فريد وجدي ، **دائرة المعارف القرن العشرين** ، ج 5 ، دار الفكر بيروت ، د . ت. ن.

- نجم الدين محمد بن محمد الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**،ج1،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،.1997

2.المراجع المعربة

- دلبد الأرقش وآخرون،**المغرب العربي الحديث من خلال المصادر** ،مركز النشر الجامعي ،مدياكوم ،تونس،2003.

- عبد العزيز سامح التر ،**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** ، ترجمت محمود علي عامر ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ط1 ، بيروت ، 1989م .

- عبد اللّه حمودي، **الشيخ والمريد النسق الثقافي في المجتمعات العربية الحديثة** ، ترجمة عبد المجيد جحفة ،دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ،ط4 ،2010.

- مارمول كاربخال ، **إفريقيا** ، ترجمة محمد حجي وآخرون ج 3 ، دار النشر المعرفة للنشر والتوزيع الرباط ، 1986 .

- محمد الهادي الشريف ، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال** ،تعريب محمد الشاوش ،محمد عجينة ،دار سراس للنشر ،ط3 ،تونس ،1993.

- محمد الهادي الشريف،**تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الإستقلال** ،تعريب محمد الشاوش ،محمد العجينة ،دار سراس للنشر ،ط3،تونس،1963.

- محمد بن الخوجه ،**تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد** ،تح ،الجيلالي بن الحاج يحي وحمادي الساحلي، ط2،دار الغرب الإسلامي ،بيروت-لبنان، 1985.

- محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج ،**الحلل السندسية في الأخبار التونسية** ، تح ،محمد الحبيب الهيلة ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، مج3 ،.1985

3. **رسائل الدكتوراه و الماجستير**

– حصام صورية ، **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشرا** (مذكر مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،إشراف عبد المجيد بن نعيمة) جامعة وهران ،2013/2012.

- رشاد الإمام ، **سياسة حمود باشا في تونس 1782–1814م** (رسالة دكتوراء في الفلسفة) دائرة التاريخ في الجامع الأمريكي ،بيروت ،د س د.

- محمد مكحلي، **ثورات رجال الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني (1707،1827م)** ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة الجيلالي ليابس ،سيدي بلعباس ،2003، 2004.

- ياسين صنديد ،**الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا (1705–1782م)**، مذكرة الماجيستير ،تخصص،تاريخ حديث ،إشراف،إبراهيم سعيود ،جامعة غرداية ،الجزائر ،2013/2012م.

- يوسف بن حيدة ، **التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية "الطريقة الشابية نموذجاً"، تخصص تاريخ حديث ومعاصر** ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي ليابس ،سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017م .

4. المجلات العلمية

– أحمد الوراث، **من نماذج التواصل الصوفي بين المشرق والمغرب (الطريقة الميمونية)**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة العاشرة، العدد40،يناير2003،دبي، الأمارات العربية المتحدة.

- التليلي العجيلي،"**الوضع الطرقي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد76/75،زغوان تونس، ماي1994.

- حسونة مصباحي ((الارستقراطي الديمقراطي الذي اتسمت أفكاره بالطرافة بوكلير موسكاو أمير ألماني في البلاد التونسية))، جريدة العرب الثقافي، بتاريخ يوم الخميس 2008/1/31م.

- علي الشابي، **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية، المجلة التاريخية المغربية**، العهد الحديث والمعاصر، العدد13و14، يناير،1979،مطبعة الإتحاد التونسي للشغل، تونس.

- فاضل بيات،**الدولة العثمانية في المجال العربي** ،دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية (مطلع العهد العثماني- أواخر القرن التاسع عشر)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،بيروت، 2007.

- فتحي المرزوقي،**المؤسسات الدينية والمؤسسات الخيرية بمدينة تونس في القرن الثامن عشر (مقوماتها الإقتصادية ووظائفها الإجتماعية)**،المجلّة التاريخية المغربية،العدد84،83،منشورات مؤسسة التميمي ،زغوان ،1996.

- محمد الأمين بلغيث ، **الطريقة الشابية في تونس والجزائر** (محاولة لرسم مسار الحركة) خلال القرنين 16 و 17 ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 114 ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، زغوان ، جانفي 2004 .

- ناصر الدين سعيدوني ، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر– تونس– طرابلس الغرب) من القرن (16–19م)**، قسم التاريخ كلية الأداب ،جامعة الكويت ،حوليات الأداب والعلوم الإجتماعية– الحولية الحادية والثلاثون– 1431 هـ/2010 م.

5.الملتقيات والندوات العلمية

-أحمد قاسم، **وثائق عثمانية تهتم بوضع تونس في أواخر القرن السادس عشر**، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات العثمانية ،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات بزغوان، تونس ،فيفري1992.

-لطفي عيسى، **مغرب المتصوفة (الإنعكاسات السياسية و الحراك الإجتماعي من القرن 10هـ إلى القرن17م)**،مركز النشر الجامعي، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية بتونس،2005.

- مبروك الباهي ،**القبيلة في تونس في العهد الحديث(ق16–ق19م)، من بداوة الجمل إلى بداوة الخروف والحوز(السباسب الوسطى مثالا)**،منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية ،صفاقس، تونس، 2005.

6.المراجع الأجنبية

-Habib Boularès، **Histoire de La Tunisie Les grandes dates de La Préhistoire à la révolution** .Cérès éditions. Tunis. 2011.

-M. Dallouni, **Le problème de l'alimentation en eau potable de la ville d alger**, in Bulletin de la Société géographique d alger, 1928.

-Mercier(Ernest)Histoire de LAfrique Spenterionale,T3,Ernest Leroux,èdition, Paris 1891.

-P. Costanzo Bergan, Tripoli del 1510 al 1850 .Archives du Ministère de la Guerre (A.M.G) à Vincennes, Rapport Rousseau .sur le système monétaire de Constantine, 1838

-**Appendice**, Notice sur l ancienne province du Titteri,in ،Urbain Tableau de la situation des établissements francais en Algérie, 1844-1845.

-Victor Guerin. Voyage archèologique dans la Règence de Tunis. Tome 1.èditeur Henri Plon .imprimerie Paris 1862..

-Ahmed Abdesselem. Les historiens tunnisiens des 17.18 et 19ème siecle.librairie klincksieck. Printed in tunisia.1973.

الفهـــــرس

الفهرس

مقدمة 8

الفصل الأول: أوضاع تونس خلال القرن 18م 13

المبحث الأول : الوضع السياسي و الاقتصادي 14

أولا : الوضع السياسي : 14

ثانيا : الوضع الاقتصادي 27

المبحث الثاني : الوضع الاجتماعي والثقافي 34

اولا: الوضع الاجتماعي 34

ثانيا: الوضع الثقافي 35

الفصل الثاني : الطريقة الشابية كحركة دينية وسياسية 38

المبحث الأول : النشأة والتأسيس 40

اولا : الشيخ المؤسس وتكوينه الصوفي 40

ثالثا : امكانيات الشابية وموردها المادية 51

المبحث الثاني : الطريقة الشابية الظروف ومراحل تأسيس الإمارة 56

أولا : الظروف والعوامل المساعدة في تأسيس الإمارة 56

ثالثاَ: مرحلة الضعف والانحطاط 66

الفصل الثالث: علاقة الطريقة الشابية بالدولة العثمانية وامتدادها الخارجي 70

المبحث الأول :علاقتها بالدولة العثمانية 72

اولا:التمركز العثماني وأزمة الشابية 72

ثانيا: علاقة الشابية بحمودة باشا المرادي 79

المبحث الثاني :جذور الشابية في الحرب الأهلية التونسية الأولى وعلاقتها مع الجوار 84

اولا: جذور الشابية في الحرب الأهلية التونسية الأولى(1675م-1686م) 84

ثانيا:علاقة الشابية بإيالة الجزائر و التمركز الشابي 86

ثالثا: التوجهات الثورية والدعوية للشابية 90

خاتمة 98

الملاحق **100**

قائمة المصادر و المراجع **108**

أولا ، المصادر 108

ثانيا ، المراجع 109

الفهرس **117**